دافيد برينارد ورسالته لنا اليوم

سلسلة فتشوا الكتب ٣٠، دافيد برينارد ورسالته لنا اليوم، تأليف: أزوالد سميث، تعريب: القس باقي صدقة، لجنة خلاص النفوس للنشر. باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد. أمين

مقدمة

يتحدث دكتور أزوالد سميث عن هذا الكتاب بالقول إنه "سجل مركز للاختبارات الروحية العظيمة التي حوتها مذكرات القديس دافيد برينارد والتي تعتبر ملهمة وملهبة للمؤمنين في عصرنا الحاضر". فإن هذا الشاب القديس – الذي عمل مرسلاً للهنود الأمريكيين – عاش حياة عجيبة رائعة حقاً، تميّزت بأنه كان يقضي أياماً كاملة في الصلاة. ولا عجب، فقد كان دافيد مكرّساً تماماً لمشيئة الله لذلك استخدمه الله استخداماً عجيباً في حياته القصيرة التي لم تزد عن ثلاثين عاماً. وليس من شك في أن الاختبارات المذكورة في هذا الكتاب، والمقتبسة من مذكرات برينارد الشخصية سوف تكون ملهمة وملهبة حقاً لمشاعر كل من يقرؤها. فإننا نلمس فيها بوضوح ما يستطيع الله أن يعمله في حياة شاب كرّس نفسه تماماً له. لقد استطاع دافيد برينهارد أن يقوم بعمله العظيم بقوة الصلاة. فعندما كان وحيداً في مجاهل الغابات، غير قادر على أن يتحدث بلغة الهنود، كان يقضي أياماً كاملة في الصلاة. ترى لأجل أي شيء كان يصلّي؟... لقد أدرك أنه لم يكن يستطيع أن يتفاهم مع هؤلاء المتوحشين أو يفهم لغتهم، وأنه إذا أراد أن يتكلم معهم فإنه لابد أن يبحث عن شخص يقدر أن يترجم أفكاره لهم. وهكذا وجد أن أي شيء يفعله كان يتحتم عليه

أن يعتمد فيه تماماً على قوة الله. ولذلك قضى أياماً كاملة في الصلاة طالباً بكل بساطة أن يمتلئ بالروح القدس بشكل واضح ملموس حتى لا يقدر هؤلاء الناس على مقاومته أو عرقلة خدماته وجهوده. فماذا كانت إجابة صلاته؟. وعظ مرة مستعيناً بمترجم كان مخموراً لدرجة أنه استطاع بصعوبة أن يقف على قدميه، ولم يكن أمام دافيد وسيلة اخرى غير هذه، ومع ذلك فإن عشرات من الناس تجددوا بسبب تلك العظة التي ترجمها الرجل المخمور. ولسنا نستطيع أن نجد تفسيراً لذلك سوى أن قوة الله العظيمة كانت هي العاملة والمؤثرة. وبعد رحيله قرأ وليم كيري تاريخ حياته وتأثر به فذهب إلى الهند، والتهب حماس روبرت مكين من قراءة مذكراته فذهب يكرز ببشارة المسيح بين الهنود وكانت هذه المذكرات نفسها هي التي حفزت هنري مارتن للذهاب إلى الهند. والدرس الذي يجدر بنا أن نتعلّمه هو أن الحياة الخفية التي يقضيها المؤمن في شركة دائمة مع الله، وفي محاولة مستمرة للوصول إلى المصدر الحقيقي للقوة، هي الحياة التي تُحرك العالم وتذهله. والذين يعيشون مثل هذه الحياة قد ينساهم الناس بسرعة. وقد لا يلقى أحد كلمة تأبين أو تقريظ عند موتهم، وقد لا يلحظ العالم رحيلهم. ولكن، بمرور الأيام، تبدأ حياتهم العطرة ورسالتهم المجيدة تفوح شذاها وتشع عظتها في كل مكان. وهذا ما حدث بالنسبة لدافيد بريناردو. ويمكننا أن نقول بحق إن النهضة المرسلية العظيمة في القرن التاسع عشر مدينة لصلوات ذلك الشاب القديس اكثر من أي شيء آخر. ولعله من المناسب هنا أن نورد نص ما كتبه أزوالد سميث في تقديمه لهذا الكتاب الذي تولى هو جمع مادته ونشره: "عندما كنت

في الثامنة عشرة من سنيّ وجدت نفسي على بعد ثلاثة آلاف ميل من أرض الوطن مرسلاً للهنود. ولا عجب، فإني أحب برينارد. وقد كان برينارد هو الذي علمني أن أصوم وأصلّي. وتعلّمت منه أن الأشياء العظيمة التي لا يتسنى تحقيقها عن طريق الوعظ، يمكن عملها وتنفيذها بسهولة عن طريق الشركة اليومية مع الله والاتصال المستمر به. وكلما أحسست بالجمود أو الفتور، وجدت في حياة برينارد ومذكراته ما يدفعني إلى الحرارة والحماس. فإن برينارد كان يحمل قلباً ملتهباً بمحبة الناس والرغبة في خدمتها. وكان هدفه الأسمى وطموحه الأعظم أن يعيش حياة مكرّسة لله تماماً. وسوف يظل حماس برينارد للخدمة المرسلية، كما عبر عنه في خطاب لأخيه يرن صداه في أذني وفي قلبي. فقد كتب لأخيه يقول: "إنني أعلن، وأنا الآن على وشك الموت، إنني لو عشت حياتي من جديد، فلن أستبدل بعملي المرسلي أي شيء آخر ولو أعطيت معه العالم كله"... إنني أرجو أن تكون قصة كفاح دافيد برينارد، رجل الصلاة العظيم، وأعماله العظيمة التي قام بها، بركة عظيمة لكثيرين كما كانت بالنسبة لي شخصياً. ومع أن برينارد أدى خدمته منذ أكثر من مائتي سنة، فإن له رسالة يقدمها لنا في عصرنا هذا. فليس هناك شيء نحن في مسيس الحاجة إليه أكثر من برينارد، في حياته و خدمته، يرينا طريق الحصول على هذه القوة المباركة.

الفصل الأول

الاعداد للخدمة

وُلد دافيد برينارد في هادام بمقاطعة هارتفورد في ٢٠ أبريل عام ١٧١٨. ومات أبوه حزقيا برينارد عندما كان دافيد في

التاسعة من عمره، وماتت أمه – ابنة القس أرميا هوبارت – عندما كان في الرابعة عشرة. وكان دافيد الابن الثالث لأبويه اللذين كان لهما خمسة أبناء وأربع بنات. ولنقرأ ما كتبه بنفسه عن تاريخ حياته في هذه المرحلة:

التبكيت

"كنت منذ صباي أميل إلى الرزانة والتزام الوقار إلى حد الكآبة وانقباض النفس، ولكني لم أحس في نفسي بأي تبكيت على خطاياي. ولما بلغت السابعة أو الثامنة من عمري بدأت أفكر باهتمام في موضوع خلاص نفسي، وبدأت أحس بالرعب عندما تتوارد إلى ذهني الأفكار عن الموت لدرجة أني كنت أفقد لذتي في اللعب وشوقي له. إلا أن هذا الوازع الديني لم يستمر طويلاً، لكني على أية حال كنت أحياناً أواظب على الصلاة السرية في المخدع، وهكذا كانت حياتي حتى بلغت الثالثة عشرة من عمري. وحدث في شتاء عام ١٧٣٢ أن انتشر وبأ في هادام، وكان هذا الوبأ قد أفاقني من الاستسلام للطمأنينة الجسدية التي كنت أعيش فيها، فبدأت أمارس الفرائض في غيرة وحماس، وبدأت أشغف بالقراءة، وكنت أحياناً أرجو أن أكون قد تجددت، أو على الأقل كنت أرجي نفسي بالسماء والسعادة، دون أن أعرف معنى التجديد، وكنت بشكل ملحوظ ميتاً للعالم وكانت أفكاري كلها تدور تقريباً حول ما يتعلق بنفسي وخلاصها، ويمكنني أن أقول إن كل هذه المشاعر والأفكار كانت بمثابة الحافز الذي يدفعني لأصير مسيحياً. وعندما ماتت أمي في مارس ١٧٣٢ شعرت بحزن عميق وكآبة شديدة. ولكن بعد ذلك ضعف في الاهتمام بالدين، وهبطت إلى درجة الجمود الروحي الشديد بالرغم من أنني كنت مواظباً إلى حد كبير

على الصلاة السرية. وحوالي ١٥ أبريل ١٧٣٣ انتقلت من بيت أبي لأسكن في شرق هادام حيث قضيت هناك أربع سنوات كنت لا أزال فيها بلا إله في العالم. ولم أكن راضياً عن الاسراف في صحبة الشباب العابث المستهتر ومسايرتهم في الملذات الماجنة، بل إنني لم أعد يوماً في حياتي من فرصة للهو أو المجون بنفس الضمير الصالح الهادئ الذي ذهبت به. وكنت أحس أنني في كل مرة أسمح لنفسي بمثل هذا التصرف، أنني أضيف ذنباً جديداً إلى ذنوبي، مما جعلني أخاف من أن أتقدم إلى عرش النعمة. وضاعت في نظري قيمة كل الاطارات الصالحة التي كنت أحاول عادة أن أضعها حول نفسي أحياناً لأسرها بها وأهدئ من روعها، ولكنني للأسف اكتشفت أن كل هذه الاطارات التي كنت أظنها صالحة كانت مجرد بر ذاتي، ليس له أي أساس مقدّس أو رغبة حقيقية في مجد الله. وفي أبريل عام ١٧٣٧، وقد بلغت التاسعة عشرة من عمري ذهبت إلى "درهام" وبدأت أشتغل في مزرعتي، وقضيت هناك عاماً كاملاً حتى بلغت العشرين من عمري تقريباً. ثم شعرت برغبة جامحة للتعليم والدراسة، فتفرغت لها بكل قواي وتفكيري وصممت على أن أكون صارماً مع نفسي وملتزماً للوقار والرزانة إذ أني عزمت على أن أُكرّس نفسي للخدمة الدينية وأعدّها لها. في أبريل عام ١٧٣٨ ذهبت إلى "مستر فسك" وسكنت معه في بيته. ونصحني مستر فسك أن أنبذ معاشراتي وصدقاتي مع الشباب غير المتدين، وأن أكوّن صدقات وعلاقات جديدة مع الناس الوقورين الناضجين في تفكيرهم وفي اختبارهم المسيحي. وأطعت مشورته وتغيّرت طريقة حياتي، وأصبح الدين هو كل شيء فيها ،

وبدأت أقضي وقتاً طويلاً كل يوم في الصلاة السرية وبدأت أهتم جدياً بالاصغاء إلى الوعظ في طاعة وخضوع كامل لكلمة اللّٰه. وبلغ حماسي واهتمامي إلى الحد الذي اتفقت فيه مع بعض الشباب على أن نعقد اجتماعات دينية خاصة في أمسيات أيام الآحاد. وكنت أخلو إلى نفسي بعد كل اجتماع لأردد العظات والأحاديث التي سمعتها في ذلك اليوم محاولاً أن أثبت معانيها في ذاكرتي. وشعرت أن حياتي الظاهرية على خير ما يرام، وكنت حريصاً على أن أتمم الفرائض الدينية على الوجه الأكمل بالرغم من عدم فهمي الكامل لها. وبعد وفاة مستر فسك واصلت دراساتي مع أخي، وكنت لا أزال مهتماً بالفرائض الدينية ومواظباً على ممارستها. وكنت أتعجب كثيراً من طيش أساتذتي وعدم تدقيقهم، بل إن إهمالهم للأمور الدينية كان يسبب لي كثيراً من الاضطراب والمتاعب، وهكذا واصلت حياتي على أساس من التفكير في بري الذاتي. وفي شتاء عام ١٧٣٨، شاء الرب في صباح يوم من أيام الأحد، عندما كنت أتمشى، أن يدهمني فجأة احساس بالخطر وشعور مخيف بغضب اللّٰه العظيم لدرجة أني وقفت مشدوهاً منذهلاً، وتلاشت من مخيلتي كل الاطارات الصالحة التي كنت أحاول أن أحيط بها نفسي من قبل، ومثلت أمامي كل خطاياي وشروري، الأمر الذي جعلني منقبض النفس مكتئباً طول اليوم لخوفي من أن يلحق بي حالاً غضب اللّٰه فأقع في قبضته ويوقع على قصاصه الرهيب. ملأ هذا الاحساس قلبي بالرعب والغم، فاستسلمت للوحدة اليائسة، وكنت أحياناً أحسد الطيور والحيوانات على سعادتها لأنها ليست معرضة للشقاء الأبدي مثلي أنا. وهكذا عشت من يوم لآخر في حزن عظيم

مستمر. وبدت الجبال أمامي وكأنها تعرقل تحقيق آمالي وتحجز عني رحمة الله. وبدا اختبار التجديد أمامي عظيماً جداً وصعب المنال لدرجة أني شعرت أنني لن أحصل عليه، ولكني تعودت، على أية حال، أن أصرخ إلى الله مصلّياً وأن أؤدي الفرائض الأخرى في غيرة عظيمة وحماس كبير. ومع أني أقلعت عن كل تظاهري باستحقاق في ذاتي، واعترفت كثيراً أمام الله إنني لم أكن أستحق شيئاً حتى عن أفضل ما فيّ سوى الدينونة الأبدية، فإنني كنت لا أزال أحس بأمل دفين في نفسي لأن أذكر الله دائماً بأعمالي الصالحة وحرصي على إرضائه عن طريق اتمام الفرائض الدينية. وعندما كنت أصلّي وكان قلبي يبدو كأنه يذوب منسحقاً، كنت آمل أن الله يتأثر لذلك ويرثي لي. وهكذا بدت صلواتي تظهر لي وكأنها صالحة مقبولة، وبدا لي أن انتحابي على خطاياي يجعلني أتجاسر على أن أطمئن إلى رحمة الله في المسيح، مع أن الشعور الغالب في ذهني والأساس الذي بنيت عليه أملي كان في الحقيقة مجرد تصوري أن قلبي قد أصبح صالحاً بسبب انسحاقه وانكساره، ومن ثم فأنا قد أصبحت في ذاتي جديراً مستحقاً. ومع أني أحياناً كنت أحس أن الباب ضيق جداً لدرجة أنه سيستحيل على الدخول منه، فإني كنت في أحيان أخرى أعاون نفسي بالقول إن الأمر ليس في هذه الدرجة من الصعوبة والعُسر، آملاً أنني سأصل إلى مبتغاي بالمزيد من الاجتهاد والمثابرة واليقظة. وفي بعض الأحيان كنت أظن أني عن طريق المبالغة في أداء الفرائض والواجبات الدينية يمكنني إن أخطو خطوات واسعة نحو السماء، وكنت أتصوّر إن الله يتأثر بذلك وأنه لا شك يصغي لمثل هذه الصرخات المخلصة، وهكذا

ظننت أني أستطيع أن أشفي نفسي وأن أخلصها بمجرد أداء الواجبات والفرائض. وخصصت مرة يوماً للصوم والصلاة، وصرفت اليوم كله تقريباً في صراخ مستمر لله ليرحمني، وحتى يفتح بصيرتي فأرى شناعة الخطية وشرها، ولأرى طريق الحياة بالمسيح يسوع. وشاءت مسرة الرب في ذلك اليوم أن يكشف لي كثيراً من خبايا قلبي وسرائره. ولكني كنت لا أزال واثقاً أن اجتهادي وحرصي على أداء واجباتي، بالرغم من عدم صلاحها، يجعلني مستحقاً أمام الله ولو إلى حد ما. ومع ذلك فقد شاء الرب أن يجعل كل مجهوداتي هذه وسيلة لاقناعي بعجزي الكامل وقصوري التام. إلا أنني كنت أتشجع أحياناً وأتصوّر أن الله كان مسروراً مني راضياً عليّ، وأنني على وشك المصالحة معه. وعندما كنت أحس في بعض الأوقات بالحزن والغم بسبب شروري وضعفاتي وعجزي عن الهروب من مواجهة الله العظيم صاحب السلطان، كنت أحاول أن أتعامى عن هذا الاكتشاف أو على الأقل أؤجل التفكير فيه. وأذكر مرة أن انتابتني مشاعر القنوط والحزن والرعب بسبب تفكيري في الوقوف أمام الله مجرداً من صلاحي المزعوم وبري المزيف، فكنت أحاول أن أطرد هذه الأفكار والمشاعر من ذهني وقلبي، وكأني أردد ما قاله فيلكس لبولس: "أمّا الآن فاذهب...". وهكذا، مع أني كنت أشتاق يومياً لتبكيت أعظم على خطاياي، مفترضاً أن إدراكي لحالتي التعيسة المخيفة سيساعدني على تطبيق العلاج الناجع... مع ذلك كان منظر خطاياي ونقائصي أمامي مخيفاً جداً ومذكراً لي بوضوح أني معرض لغضب الله العظيم ولدينونته الفظيعة، بشكل لا يمكن احتماله أبداً. وأحياناً كنت أشعر بقساوة قلبي، وكنت أحس أن قلبي ينبغي أن يلين

ويذوب حتى يقبلني المسيح، فكنت أحاول أن أسحق قلبي أمامه، ظناً مني أني بذلك أكون قد أديت واجبي وأنه لابد أن يرحمني إكراماً لقلبي المنسحق. ولكنني عندما كنت أرى قلوب الآخرين قد لانت وقلبي أنا لا يزال متقسياً، كنت أقول أن الله لابد أن يكون قد أظهر لهم رحمته بينما حجبها عني أنا. وكان هذا يجعلني أزداد تذمراً وحزناً. في إحدى الليالي بينما كنت أتمشى منفرداً خارج البيت، إذا بخطاياي تمثل في ذهني وفي قلبي فجأة وبشكل عنيف لدرجة أني خفت لئلا تنشق الأرض تحت قدمي لتصنع لي في باطنها قبراً يبتلعني، ثم تذهب نفسي إلى الجحيم قبل أن أتمكّن من العودة إلى البيت. ومع أني اضطررت في تلك الليلة أن أذهب إلى سريري بسرعة قبل أن يكتشف أحد كربي وغمي، إلا أنني لم أتمكّن من النوم لحظة واحدة، إذ إنني كنت أرجو طول الليل أن تحدث معجزة فأرى نور الصباح وأنا خارج جهنم. ومع أن حزني كان عظيماً فإنني كنت أخشى ضياع هذا التبكيت في داخلي والعودة إلى حالة الطمأنينة الجسدية وعدم الاحساس بغضب الله المحدق بي... هذه الحالة التي كنت فيها قبلاً. وقد دفعني هذا الشعور إلى المبالغة في الحزن والكآبة لئلا أخمد عمل روح الله فيّ. وعندما قارنت بين درجة التبكيت في نفسي وبين خطاياي، ظننت أن خطاياي لم تكن تستحق كل هذا التبكيت، مما جعلني أحس ببعض الارتياح والثقة، ولكن هذه الثقة، والآمال التي بعثتها في نفسي، كانت تجعلني أركن إلى التهاون والتراخي. وهذا التهاون أضعف بالتالي درجة التبكيت في نفسي... الأمر الذي أفزعني حالاً وملأني بالحزن والكآبة من جديد. وقد جعلني كل هذا الفشل المتكرر في شبه نزاع أو خصام

شديد مع الله – تبارك اسمه – ظناً مني أن معاملاته مع البشر مشوبة بالكثير من الأخطاء. فاعتقدت مثلاً أن الله ليس عادلاً في كونه يدين نسل آدم بسبب خطية شخصية وقع فيها آدم، ورغب قلبي الشرير في أن يجد طريقة أخرى للخلاص بعيداً عن يسوع المسيح. وارتبكت أفكاري واضطربت، وتعودت أن أتلمس أية وسيلة أهرب بها من مواجهة التفكير في غضب الله. وكنت أحياناً ألجأ إلى وسائل وأفكار كفرية إلحادية محاولاً بها أن أفسد تدبير الله لي، وأن أخبئ نفسي بعيداً عنه. ولكن، عندما كنت أرى أن هذه الوسائل قد فشلت في أن تقدم لنفسي الارتياح والطمأنينة المنشودة، كنت أميل إلى الرغبة في الاعتقاد بعدم وجود الله بالمرة، أو في وجود إله آخر يستطيع أن يضع حداً لسلطان الإله الحقيقي الذي كنت أحاول أن أهرب من مواجهة قضائه ودينونته. كانت هذه هي ميول قلبي السرية التي كانت تستحوذ على تفكيري ومشاعري بالرغم مني. وكان مجرد تفكيري بأن قلبي ممتلئ بالعداوة ضد الله يملأ نفسي بالحزن والغم، بل بالرعدة والرعب، لئلا يدهمني انتقام الله فجأة. وكنت قد حاولت أن أعوّد نفسي من قبل أن أتصوّر أن قلبي ليس شريراً أو سيئاً بالدرجة التي يصورها الكتاب المقدّس. وفي بعض الأحيان اعتدت أن أجتهد في وضع اطارات صالحة حول قلبي وأعمالي لعلي أقنع نفسي بذلك انه يوجد في بعض الصلاح. ولكن في محضر الله وإزاء ناموسه الدقيق الصارم كنت أحس بقلبي عرياناً ومكشوفاً وقد ظهرت فيه كل مفاسده بشكل فاضح يخترق كل سدود تحاول ستره أو تغطيته، مثلما تجرف مياه الفيضان أمامها كل الحواجز التي تعترضها. وتعودت أن أقول لله في صلاتي إنني

وقد كشفت له عن كل ميول نفسي كما يتطلب هو فإنني أرجوه أن يريني رحمته كما أظهرها للآخرين. ولكن عندما لم أجد الراحة أو السكينة النفسية التي كنت أتطلع إليها، بل بالعكس كان يسيطر عليّ الاضطراب والهلع بسبب الشعور بالذنب والخوف من الغضب الإلهي، فإن نفسي كانت تثور ضد الله، وكان قلبي يتهمه بالقسوة عليّ في معاملاته معي. ومع ذلك فإن ضميري حينئذ كان يثور في وجهي مذكراً إياي باعترافي الأخير لله بعدالته في حكمه عليّ وفي إدانتي، الأمر الذي كان يعود بي إلى حزني وأسفي لأني لم أراقب قلبي بأكثر تدقيق لأحفظه من التمرد على الله ومن التجديف عليه بسبب معاملاته معي. وبينما كنت في هذه الحالة الفكرية المحزنة، إذا بالأمور الآتية بنوع خاص تثير في قلبي التفكير والاهتمام:

١- صرامة الناموس الإلهي. فقد وجدت أنه يستحيل على (بعد آلامي العظيمة) أن أُرضي كل مطالبه. وكم من المرات اتخذت فيها قرارات وعهوداً جديدة ولكنني كسرتها ولم أستطع الوفاء بها.

٢- إن الإيمان وحده هو شرط الخلاص، وإن الله لا يمكن أن يقبل إلى جانبه شروطاً أخرى، وإنه لا يمكن أن يعد بالحياة والخلاص بناء على مجرد صلواتي ومجهوداتي مهما كانت قلبية مخلصة. ورأيت ان العبارة الواردة: "مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ" (مر ١٦: ١٦).. هذه العبارة تعتبر جازمة قاطعة في هذا الموضوع. واكتشفت أن الإيمان هو هبة الله العظمى، وأنه لا يمكنني أن أحصل عليه بمجهودي وأعمالي. "وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا... لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ.

لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ" (أف ٢: ١- ٩). وقد كانت هذه الأقوال صعبة جداً بالنسبة لي، ولم يكن من السهل عليّ قبولها أو احتمالها. فلم أستطع أن أتصوّر أن كل أعمالي ومجهوداتي راحت عبثاً – أنا الذي أديت كل الواجبات والفرائض بضمير صالح، وحرصت على التدين مدة طويلة، وعملت (كما ظننت) أعمالاً طيبة أكثر بكثير من الآخرين الذين حصلوا على رحمة الله.

٣- والشيء الثالث الذي استرعى تفكيري واهتمامي، هو أنني لم أكتشف معنى الإيمان ولا فهمت المقصود بأن أقبل إلى المسيح. لقد قرأت دعوات المسيح إلى المتعبين والثقيلي الأحمال ولكن لم أعرف الطريق الذي أرشدهم للسير فيه حتى يصلوا إليه. وفكرت أني سأذهب إليه بكل سرور لو عرفت الطريق، بالرغم من اعتقادي أن ذلك لابد أن يكون صعباً.

٤- أمّا الشيء الرابع الذي استغرق جل تفكيري فقد كان "سلطان الله المطلق". وأعترف بأني كنت في أعماق نفسي أعارض هذا الأمر معارضة عظيمة. فلم أكن أستطيع أن أحتمل التفكير بأن الله له منتهى السلطة والحرية في أن يخلصني أو يدينني كما يشاء وحسبما يريد.

وكان روح الله طوال ذلك الوقت يعمل فيّ بقوة، وكنت أحس بدافع قوي في نفسي يحثني على أن أتخلّى عن كل اعتداد بذاتي وعن كل أمل في إمكانية إصلاح نفسي بأية مجهودات أو وسائل شخصية. وكنت أحس في الوقت نفسه بالتبكيت الشديد والشعور بالخيبة كما لو كان خلاص نفسي أمراً مستحيلاً ولكن لم يكن من السهل عليّ أن أواجه نفسي بالحقيقة الهامة وهي إني كنت ميتاً بالذنوب

والخطايا. وذات صباح، بينما كنت أتمشى منفرداً في مكان هادئ كعادتي، شعرت فجأة أن كل سُبلي وخططي للحصول على خلاص نفسي قد باءت بالفشل، ووجدت أني قد وصلت إلى مرحلة أحسست فيها أني على وشك الهلاك النهائي. وفي تلك اللحظة اكتشفت أن كل ادعاءاتي وحججي ليس من ورائها أية فائدة. وهنا فقط بدأت الثورة التي كانت تضطرم في ذهني تهدئ، واستراحت نفسي للحزن والفشل الذي شعرت به. وكنت قبل ذلك أفتكر أن الله مدين بالأعمال الصالحة التي كنت أؤديها، أو على الأقل كنت أظن أن الله لن يرفضني اكراماً لأعمالي ومكافئة ليى عليها، مع أني في نفس الوقت كنت أعترف أنه لم يكن لتلك الأعمال فضل كبير أو جدارة ممتازة. ولكني الآن شعرت أني كلما صلّيت أو عملت أكثر، فإني أصبح أكثر مديونية لله لأنه سمح لي أن أطلب رحمته، وأدركت أن صلواتي لا تفرض على الله أقل التزام أن يمنح نعمته لي. وأدركت أيضاً أن كل ما كنت أفعله قبلاً هو أنني كنت أقوم بتكريم تكريسي وصلواتي وأصوامي أمام الله، وأنني كنت أتكل عليها بدلاً من الاتكال عليه هو، ولذلك كنت مستوجباً الهلاك الأبدي نظير نفاقى واستهزائي. أمّا الآن، فإن نظرتي إلى أعمالي وحسناتي تبدو مختلفة تماماً عما كانت عليه قبلاً.

التجديد

وهكذا كان تفكيري وحالتي حتى مساء السبت ١٢ يوليه عام ١٧٣٩، عندما كنت أتمشى مرة أخرى في خلوتي في نفس المكان الذي اكتشفت فيه أني كنت خاطئاً هالكاً محتاجاً إلى الخلاص، وحيث كنت أحاول أن أصلّي ولم أجد في قلبي حماساً أو اهتماماً بمواصلة الصلاة. وتغير الآن

تماماً موضوع مشغوليتي السابقة وظننت أن روح الله قد تركني تماماً، ولكني مع ذلك لم أكن أحس بالكآبة أو بالحزن. وأدركت حينئذ أن الذي حدث هو أنه قد أصبحت لي نظرة جديدة وفكرة جديدة عن الله، مختلفة تماماً عن فكرتي السابقة عنه، وليس هناك أدنى تشابه بين الفكرتين... فوقفت هناك شاكراً، متعجباً ومعجباً. وشعرت أني لم أرَ من قبل مثيلاً لهذه العظمة ولهذا الجمال. فما رأيته وشعرت به هذه المرة كان يختلف اختلافاً كبيراً عن كل تصوراتي السابقة عن الله أو عن أية فكرة دينية أو إلهية على الاطلاق. وظهر أن الذي سطع في قلبي وأمام عيني هو قبس من المجد الإلهي العظيم مما ملأ قلبي ونفسي بفرح عجيب لا يمكن أن يُعبّر عنه. وشعرت وكأن الله قد سبى نفسي وأسرها، وأن محبة الله وعظمته وسائر كمالاته قد غمرتني لدرجة أنني لم أعد أفكر في مسألة خلاصي. وهكذا غرس الله فيّ ميلاً قلبياً ونزعة جديدة لتمجيده وتعظيمه ليكون هو ــ وهو ملك الكون ــ ملكاً أيضاً على عرش قلبي. وظللت على هذه الحالة من الفرح والسلام الداخلي حتى بدأ الظلام يخيم دون أن أدري أي تعليل أو تفسير معقول لذلك. ثم بدأت أفكر وأتأمل فيما رأيت واختبرت فشعرت بطمأنينة فكرية جميلة وبسلام قلبي لذيذ طوال تلك الليلة، وكأني وُلدت في عالم جديد، إذ أن كل شيء حولي بدا جديداً مختلفاً عما تعودت أن أراه من قبل. وفي هذا الوقت تفتح أمامي طريق الخلاص الحقيقي بأحلى صورة من الحكمة والعظمة والسمو، بشكل جعلني أتعجب كيف أني كنت أفكر في طرق أخرى للخلاص، وأسفت لأني لم أتخلَ من قبل عن الوسائل الأخرى التي كنت أتلمسها

للخلاص ولم أمتثل منذ البداية للسير في هذا الطريق الجميل السامي المبارك. ولو إنني كنت قد تمكنت من الحصول على الخلاص عن طريق أعمالي أو مجرد أداء الفرائض أو بأية وسيلة أخرى من الوسائل التي كنت أخترعها لنفسي قبلاً، فإن نفسي الآن كانت ترفض مثل هذا الخلاص. وأنا الآن أتعجب كيف لا يرى العالم كله طريق الخلاص الحقيقي ببر المسيح، وكيف لا يذعن له بدلاً من التماس الوسائل الأخرى التي لا تجدي ولا تنفع شيئاً. وقد استمرت معي هذه النشوة الحلوة التي شعرت بها حينئذ عدة أيام، كنت فيها أفرح في الرب باستمرار في يقظتي وفي منامي. ولكن، بعد وقت ليس بطويل، وجدت نفسي مستغرقا في ظلال كثيف وحزن عميق، إلا أنه لم يكن من نوع الحزن الذي كان يغمرني عندما كنت تحت التبكيت. فقد شعرت أني مذنب وخائف وخجل من مواجهة الله، وأني أعاني من الشعور بالذنب، ولكني بسرعة شعرت بالتوبة الحقيقية ثم بالفرح في الرب. وفي شهر سبتمبر ذهبت إلى كلية ييل في نيو هفن بعد أن كنت متردداً في الذهاب خشية ألا أتمكن من الحياة المدققة وسط التجارب والمغريات الكثيرة هناك. وبعد ذلك شاءت مسرة الرب أن يفتقد نفسي بإعلانات أكثر وضوحاً عن شخصه. فعندما كنت أقضي بعض الوقت في الصلاة فاحصاً نفسي أمامه. إذا به يشرق في قلبي بنوره فيمتعني برضاه بتأكيد كامل، وينعش نفسي بأفراح إلهية لا ينطق بها. وعندما قرأت فصولاً مختلفة من كلمة الله، إذ بها تكشف لنفسي بوضوح وبقوة وبعذوبة الدليل الأكيد على كونها كلمة الله وصوته ورسالته لي شخصياً... وفي يناير عام ١٧٤٠، بعد أن أُصبت بمرض

الحصبة، رجعت إلى بلدي هادام. ولكن قبل مرضي ببضعة أيام حزنت نفسي لشعوري بغياب الروح المعزي عني، وبدا لي أن كل تعزياتي قد ضاعت إلى الأبد: فصلّيت وصرخت إلى الله ليعينني، ولكنني لم أشعر بأي ارتياح... ولكن قبل مرضي بليلة أو ليلتين، وبينما كنت أمشى منفرداً في مكان منعزل، مستغرقاً في التأمل وفي الصلاة، افتقدني الرب بانتعاش جميل من العلاء، حتى أرتفعت نفسي إلى فوق، بعيداً عن مخاوف الموت الذي كنت في الحقيقة أتوق إليه أكثر مما أخشاه. وكانت هذه الفترة بالنسبة لي منعشة وممتعة أكثر من كل ما تستطيع أن توفره الأرض كلها من مباهج ومسرات . وكانت الحصبة شديدة جداً على لدرجة أني كنت أيأس من الحياة، ولكني لم أخف من الموت أو أحزن بسببه بالمرة. وعلى أية حال، سرعان ما شفيت ولأني انشغلت كثيراً بعد ذلك في استذكار دروسي، لم يكن لدي وقت طويل أتفرغ فيه لواجباتي الروحية لذلك تاقت نفسي وتلهفت على قضاء وقت أطول في خلوتي وشركتي مع الله. وذات يوم (أظن أنه في شهر يونيه عام ١٧٤٠)، وكان وقت الظهيرة، مشيت منفرداً في الحقول حتى بعدت عن الكلية بمسافة ليست قليلة. وهناك صلّيت، فوجدت فرحاً في الرب وحلاوة لا ينطق بهما لدرجة أني فكرت أن أعيش في ذلك المكان بقية عمري الذي يتحتم عليه أن أقضيه في هذا العالم الشرير، لأنظر هناك مجد الرب وأتمتع به. ولأن نفسي تحب كل البشر، فقد تمنيت لو أن الناس جميعاً تمتعوا بمثل ما تمتعت أنا به في ذلك المكان الذي بدا لي أنه نموذج مصغر للسماء. وفي شهر أغسطس التالي، اعتلت صحتي وضعفت للغاية لسبب أنهماكي في الدروس،

لدرجة أن أستاذي نصحني أن ألزم البيت وأن أريح ذهني من عناء المذاكرة بقدر الامكان، فأطعت نصيحته وتركت الدراسة جانباً حتى أسترد صحتي التي تدهورت حتى خُيّل إليّ أني أواجه الموت بالتأكيد، ولكن الرب شاء في محبته ومسرته أن يعطيني متعة ولذة روحية جميلة متجددة، وأن يفتح شهيتي للتفكير في الأمور الإلهية والأبدية. بلغ تعلقي بالله ورغبتي في التحرر من كل خطية أني عندما شعرت بنفسي وقد قاربت على الشفاء، وفكرت أنه ينبغي أن أعود ثانية إلى الكلية التي ثبت أنها أساءت إلى حالتي وغيرتي الروحية في العام السابق، حزنت وتمنيت لو أني مت، فإن هذا أفضل لي بكثير من أن أبتعد عن الله. ولكني قبل أن أذهب للكلية تمتعت بفرص أخرى حلوة وثمينة من الشركة مع الله. وعدت إلى الكلية حوالي ٦ نوفمبر، وشعرت بقوة الديّن في حياتي كل يوم تقريباً لمدة ستة أسابيع، وشاءت مسرة الرب بكيفية عجيبة أن يساعدني ويقويني حتى شعرت أن شيئاً ما لن يقدر أبداً ان يحرمني من محبة الله في المسيح يسوع ربي. وأشهد أن ساعة واحدة مع الله تفوق بكثير كل مسرات هذا العالم الفاني مجتمعة معاً طول الزمن. وفي أواخر يناير عام ١٧٤١ شعرت بجفاف وببرود في الخدمة الروحية، لكن سرعان ما دبره الرب في النصف الثاني من شهر فبراير انتعاشاً شاملاً وعظيماً جعل كل الطلبة بوجه عام يفكرون جدياً وبشكل ملحوظ في أمر خلاصهم الأبدي.

يُطرد من الكلية

وفي أثناء فترة الانتعاش المشار إليها (فبراير ١٧٤١) طُرد دافيد بريناد من كلية ييل بعد أن كان قد بلغ فيها السنة الثالثة. أمّا سبب طرده فهو أن أحد الطلبة سأله عن رأيه في

أحد الأساتذة فأجاب دافيد: "أن هذا الاستاذ ليست فيه نعمة أكثر مما في هذا الكرسي". ومع أن عدداً قليلاً فقط من أصدقاءه سمعوه عندما قال هذه العبارة إلا أن إدارة الكلية عندما قدم لها تقرير بذلك قررت فصله. وشعر دافيد أن قرار الفصل هذا كان قراراً قاسياً ظالماً، وظل بقية حياته وهو يذكر عار هذا القرار المجحف. وتقدم دافيد بطلبات كثيرة للكلية ملتمساً العفو والصفح وكتب للأدارة اعترافاً كاملاً بخطئه راجياً الغفران. وتشفع لأجله كثيرون من الأصدقاء والغيورين، إلا أن سلطات الكلية أصرت على موقفها الغاشم. وهكذا أضطر القديس بريناردا، المشهور في العالم أجمع أن يمر "بالجثسيماني" من أجل أمر تافه لو حدث في يومنا هذا لما كلف أحد نفسه مجرد التعليق عليه.

* * * *

الخميس ١ أبريل ١٧٤٢

يبدو أني ضعفت في حياتي الروحية وفي شركتي مع الله، ولم أعد أتمتع بفيض التعزية في الصلاة كما تعودت من قبل. آه، يا ليت الله يعينني حتى أتضع أمامه وتذوب نفسي في الرماد قدامه. آه، إذا حدث أني ذهبت إلى السماء يوماً، فإن ذلك سيكون لمجرد إرادة الله ومشيئته، لأني من نفسي لم أعمل شيئاً سوى أني كنت أبتعد عن الله وانحرف عن طريقه. وسوف تذهل نفسي لغنى نعمة الله الذي لا يستقصى، النعمة التي أوصلتني إلى المنازل التي مضى المخلّص ليعدها لي.

الجمعة ٢ أبريل

شعرت في صلاتي السرية بحلاوة وعذوبة مصحوبة بطمأنينة وهدوء وسلام عجيب. ترى كم تكون عواصف هذا العالم

رهيبة قاسية لو لم يأتنا يسوع بالروح القدس ماشياً على أمواج البحر؟ منذ وقت غير طويل كنت أجد سروراً عظيماً في جذب الكفرة والبعيدين إلى حظيرة المسيح، وكنت أرغب بشوق أن يستخدمني الله أكثر في هذا العمل، ولكن نفسي الآن تتوق كثيراً إلى الانطلاق لأكون مع المسيح. ياليت الرب يزيد أشواقي إليه ويغمرني بفيض محبته الإلهية.

السبت ٣ أبريل

يا ليتني أكون دائماً متضعاً ومطيعاً لله، فكم أشتاق أن يحفظ الرب نفسي متعلقة تماماً به وثابتة تماماً في شخصه، حتى يؤهلني أكثر للعمل لأجله، وللصبر واحتمال المتاعب في طريق خدمته.

يوم الرب ٤ أبريل

أعطاني الرب في المساء إيماناً في الصلاة، وصهر نفسي معطياً إياي فرصة تمتعت فيها بحلاوته وجماله. لكم أحب أن أصعد بالقرب منه لأحبه أكثر ولأتضرع إليه عن كثب، ولأطلب منه بإلحاح أن يحررني من جسد هذا الموت.

* * * *

في مساء اليوم التالي كان دافيد يشكو من شعوره بفقدان الشهية الروحية وأحس بميول شريرة في نفسه، الأمر الذي خيم على ذهنه بالاضطراب والارتباك وملأ نفسه حزناً وغماً – حتى إنه قال عن نفسه إنه مندهش ومنذهل وإنه لا يجد تعزية في السماء ولا على الأرض .

الثلاثاء ٦ أبريل

أحسست فجأة بكل شروري ونقائصي . وحينئذ صرخت إلى الله لكي يطهرني وينقيني من دنسي وقذارتي، وبدأت بعد ذلك أجد لذة في الصلاة، وشعرت باستعدادي لتحمل الآلام

العظيمة في خدمة المسيح بكل سرور، ووجدت نفسي مرحباً بتحمل النفي أو الطرد بين الكفرة والوثنيين لكي أتمكن من عمل شيء ما لخلاص نفوسهم. وحينئذ أعطاني الرب قوة للعمل بنشاط لأجل الآخرين، من أجل ملكوت المسيح في العالم. وشعرت أني فُطِمت عن العالم، وأني تخليت عن شهرتي ومركزي بين الناس، مرحباً بالازدراء والاحتقار منهم في سبيل خدمة المسيح، ولم أحس في نفسي بفرح كبير لذلك، ولكن أحساسي بعظمة الله وجلاله جعلني أرتعد وأخشع. وعندما أحسست في نفسي بحقارتي ونجاستي، رحبت بأن يستخدمني الله ويعمل بي ما يشاء وكيفما يشاء.

الخميس ٨ أبريل

امتلأ قلبي بالأمل في إمكانية ربح الكفرة والوثنيين للمسيح. وإني أصلّي لكي يأتي الله بعدد كبير منهم ليدخلوا حظيرة الرب يسوع المسيح، وليس لي إلا أن آمل أن أرى ذلك اليوم المجيد.

الجمعة ٩ أبريل

أشعر بالكآبة والجفاف القلبي، ومع أني أشتاق إلى التمتع بحضور الله الدائم معي، ويبدو لي أني باستمرار أُركز رغباتي وأفكاري فيه، إلا أني لست اليوم بقادر على أن أتمتع بجمال وحلاوة الشركة الإلهية السماوية كما تعودت أن أستمتع. ولست أظن أن هناك مخلوقاً مسكيناً يحتاج إلى نعمة إلهية خاصة أكثر مني أنا.

السبت ١٠ أبريل

آمل أن يعود الله فيسكب من نعمته المغيّرة على الخطاة والمساكين الذين يسيئون فهم الآنجيل. ويا ليت الله

يستخدم أحزاني الماضية لتكون بمثابة مدرسة المسيح التي تجعلني صالحاً ومُعدّاً لخدمة أعظم، بأن تعلمني الدرس العظيم في التواضع.

يوم الرب ١١ أبريل

أعطاني الرب بركة ومعونة خاصة في الصلاة، فوجدت لذة كبيرة وأنا أصارع في الصلاة بقوة وحماس، كما شعرت ببهجة خاصة عندما كنت أصلّي لأجل الآخرين.

الاثنين ١٢ أبريل

شاء الرب أن يفتح عيني أثناء صلاتي السرية هذا الصباح، فأتمتع بالتطلع إلى قبس من نور وجهه، مما جعل فرصة الصلاة هذه ثمينة جداً لنفسي وبركة كبيرة لها. فمع أنه كان يساورني قبلاً شعور بالفشل والعجز، إلا أني ببركة الرب لي في صلاة هذا الصباح شعرت بتشجيع كبير. وصلّيت لحل النفوس المسكينة، ولأجل اتساع ملكوت المسيح في العالم، ولأجل نعمة خاصة لنفسي تجعلني أكثر ملاءمة لخدمات خاصة. وشعرت بارتياح كامل وتسليم كلّي لله بخصوص تحسين حالتي في المستقبل عندما وأينما يشاء هو، ورفعني هذا الإيمان فوق العالم، وأزال من قدامي كل العوائق التي كانت تحجب عني الرؤية. وقررت ألا أحاول أن أستند إلى إرضاء البشر، لأني عرفت أن إرضاء المسيح هو الأفضل دواماً، وأنه لا ينبغي أن أتساءل متى أو أين أو كيف يرسلني المسيح، ولا عن الطرق التي يدربني بها لكي يعدني لعمله، بل يجب أن أكون دائماً مطيعاً لصوته خاضعاً لمشيئته عاملاً ما يرضيه هو.

الثلاثاء ١٣ أبريل

تعزّيت كثيراً في خلوتي وصلاتي السرية، ووجدت في صراعي مع الله في الصلاة القوة الروحانية واللذة. مبارك الرب الذي لا ينساني ابداً، ولكنه دائماً يرسل لي احتياجي ويمدني بمعونته، وعندما أحس أنني كإنسان ميت، إذا به يرفعني ويعطيني الحياة من جديد.

الأربعاء ١٤ أبريل

تاقت نفسي للشركة مع المسيح، وللقضاء على كل فساد داخلي، خصوصاً كبريائي الروحية. إن عزاءنا هو أن يوماً ما ستستريح نفوسنا المتعبة. وقد وجدت سعادة كبيرة عندما تفكرت في حلاوة ذلك اليوم المجيد آملاً أن يعجل الله بوصوله.

الخميس ١٥ ابريل

تركزت آمالي ورغباتي في شخص الرب بشكل واضح، ووجدت نفسي اليوم منجذباً إليه كلية. وانحسر تفكيري فيه، وشعرت بخضوع تام لمشيئته القُدسية، في ترفع كامل عن كل الأشياء الأرضيه.

يوم الرب ١٨ أبريل

ذهبت مبكراً إلى مكان منفرد للصلاة، وهناك تمكنت من أن أصلّي بحماس وحرارة من أجل تقدم ملكوت المسيح في العالم. وعند الظهر كنت أصارع مع الله في الصلاة. وشعرت فيها بقوة محبته الإلهية.

الاثنين ١٩ أبريل

خصصت اليوم للصوم والصلاة ليعدني الرب للخدمة، وليعطيني معونة وارشاداً إلهياً، "وليرسلني إلى حصاده" في الوقت الذي يختاره هو. وقبل الظهر انشغلت بالصلاة لأجل النفوس الخالدة، ولأجل تقدم ملكوت ربي ومخلّصي العزيز

في هذا العالم، كما شعرت بتعزية كبيرة وبارتياح كامل عندما فكرت في المتاعب والصعوبات والمشاكل التي تصادفني في خدمة اللّه، بل إني رحبت بالموت نفسه في سبيل عمل اللّه، بل إني رحبت بالموت نفسه في سبيل عمل اللّه. وصلّيت بحرارة ليغيّر الله قلوب الكفرة المساكين وليجدد حياتهم. "وكان الرب معي" أيضاً بعد الظهر. وكم كانت الشركة المباركة حقاً! فقد مكنني الرب من أن أُجاهد في الصلاة حتى كان العرق يتقاطر مني غزيراً، مع أني كنت في الظل وكانت هناك نسمة رياح باردة. لقد كانت نفسي منسحقة في داخلي لأجل العالم، وكنت أريد أن أمسك بعدد غفير من النفوس لربحها للمسيح. وأظن أني كنت مهتماً في صلاتي بالخطاة أكثر من اهتمامي بأولاد اللّه، مع أني شعرت كأني استطيع أن أقضي كل حياتي أصلي إلى الله من أجل كليهما. وتمتعت بالعذوبة العظيمة لجمال الشركة مع مخلّصي العزيز. ولست أظن أني تمتعت في حياتي كلها بمثل ما تمتعت به اليوم من انفطام كامل عن هذا العالم وامتثال كامل لله في كل شيء. ليتنني أعيش دواماً للرب!

الثلاثاء ٢٠ أبريل

بلغت اليوم الرابعة والعشرين من سنيّ. وكم كانت رحمة الله لي في العام الماضي عظيمة! كم جاد الرب على باحسانات كثيرة. إنني أرجوه أن يساعدني لعيش لمجده في السنين المقبلة. مبارك الرب. لقد كان هذا اليوم بالنسبة لي يوماً سعيداً حلواً. فقد انشغلت نفسي فيه بالصلاة لأجل الآخرين، وصارعت مع الله في المساء مصلّياً لأجل أعدائي.

وطوال اليوم كنت تواقاً إلى أن أعيش حياتي للرب وأن أقضيها كلها في خدمته ولمجده.

الأربعاء ٢١ أبريل

شعرت بهدوء عجيب، وصلّيت بحرارة من أجل عدد كبير من النفوس. إنني أجد متعة في الصلاة لأجل الآخرين أكثر مما أجد في أي جزء آخر من أجزاء الصلاة.

يوم الرب ٢٥ أبريل

صرفت ساعتين في ممارسة الفرائض الدينية وفي الصلاة بجهاد لأجل النفوس الخالدة. ومع أن الوقت كان في الصباح الباكر فقد كان جسمي مبتلاً بالعرق بسبب الجهاد في الصلاة. وشعرت بدافع يحفزني إلى أن أصلّي طالباً أن أحصل في نفسي على هدوء ووداعة حمل الله، وأشكر الله الذي بنعمته الإلهية منحني الكثير منهما هذا الصباح. ويا له من اختبار جميل، أن يكون لدينا الاستعداد لأن نغفر كل الاساءات التي توجَّه إلينا من ألد أعدائنا. وفي المساء شعرت بشوق عظيم لمجيء الرب الحبيب. وتاقت نفسي إلى أن أشترك مع الجند السماوي في التسبيح للإله العظيم، بعد أن أكون قد تحررت تماماً من كل نقائص الحياة الجسدية وضعفاتها. فكل ما أرجوه هو أن أكون أكثر قداسة وأن تكون لي صورة أكثر شبهاً بربي العزيز. آه كم أتوق لحياة القداسة! إنني في أعماق نفسي أشتاق إلى أن أتمتع بالحصول على الصورة الكاملة المباركة لمخلصي الحبيب، حتى أكون أكثر ثباتاً في مباهج وبركات العالم السماوي.

الثلاثاء ٢٧ أبريل

خلوت بنفسي في الصباح الباكر للتأملات التكريسية السرية، وشعرت أن الرب قد غمر نفسي في الصلاة بتعزيات

لا يعبر عنها حتى أني ظللت وقتاً طويلاً لم أستطع أن أفعل شيئاً سوى أن أُردد: "يا مخلّصي! يا مخلّصي! من لي سواك؟ ومعك لا أريد شيئاً في الأرض". ولو كان لي أن أعيش حياتي ألف مرة لكنت أقدم نفسي بكل سرور في كل مرة للرب يسوع المسيح، فإني أحسست اليوم بمتعة سماوية لم أحس مثلها من قبل، إذ كانت لي فرصة روحية رائعة للتمتع بالشركة مع الله، وشعرت بلذة التسليم الكامل لله في حياتي. إلا أنني بعد الظهر، عندما خلوت إلى نفسي لأتقابل مع الله، شعرت بضعف ليس بقليل، وكأن الله أراد أن يشعرني بهذا ليعطيني درساً في التواضع فقضيت هذه الفرصة نائحاً على جسد الموت الذي فيّ. وأحزنني هذا كثيراً لدرجة أنني لم أستطع أن أصلّي أو أسبح الله بقلبي المفعم بالمحبة الإلهية السماوية. آه، يا ليت نفسي لا تقدّم أبداً خدمة باردة أو ميتة لله.

يوم الرب ٢ مايو

فتح الرب عيني هذا الصباح لأرى نفسي، فبدت أمامي مملوءة بالشر والرذيلة. وشعرت بالفساد يدب في قلبي، ولم أستطع بأية وسيلة أن أضبطه أو أقمعه أو أطرده.

الاثنين ١٤ يونية

شعرت بحلاوة الشركة مع الله، وبقوة محبته الحافظة لنا، هذه المحبة التي تسبي النفس بشكل عجيب، وتجعل كل الرغبات والعواطف والمشاعر تتركز في الله. وخصصت اليوم للصوم والصلاة، لأتضرع إلى الله أن يرشدني ويباركني في العمل العظيم الذي كان يشغل ذهني وقلبي، ألا وهو الكرازة بالإنجيل. وشعرت في المساء أن الرب قد افتقدني في الصلاة ببركة عجيبة غامرة. وشعرت أن كنوز النعمة

الإلهية التي تفتحت لي كانت غير محدودة، مما شجعني على أن أصلّي بحرارة من أجل الأصدقاء الغائبين، ومن أجل جذب النفوس الكثيرة المسكينة وضمها لحظيرة الرب يسوع، ولأجل الكثيرين الذين كنت أعتقد أنهم أولاد الله، في أماكن كثيرة بعيدة، وكنت أذكرهم بأسمائهم، وظللت طوال اليوم أجاهد في الصلاة حتى إنني عندما جاء المساء كان جسمي مبتلاً من العرق. آه، إن يسوع تقاطر عرقه دماً من أجل النفوس المسكينة! إني أتوق إلى أن يكون لي مزيد من العاطفة والمحبة نحو هذه النفوس العزيزة.

الجمعة ١٨ يونية

خصصت هذا اليوم للصلاة، وقضيت معظم اليوم وأنا أصلّي. ذلك لأني شعرت بعدم استحقاق للتفرغ لخدمة الله، وبعجزي التام عن أن أفعل أي شيء لمجد الله، وشعرت بضعفي الشديد وقصوري عن أن أعمل ما يطلبه الله مني. ووجدت الرب بنعمته الفائقة قريباً مني، وخصوصاً عندما كنت أتضرع إليه أن يعطيني محبة وعاطفة أكثر تجاه النفوس الخالدة، وكأن قلبي قد انفتح فجأة، فتمكنت من أن أتهلل في حماس وحرارة وغيرة. وبدا لي أن نفسي تتنسم مع القداسة حياة جديدة زاخرة بالتكريس الدائم لله.

الثلاثاء ٢٢ يونية

قضيت في الصباح حوالي ساعتين في الصلاة والتأمل بابتهاج. ونحو المساء، عندما كنت في خلوة في مخدعي، أحست نفسي بأشواق وحنين إلى الله. وفي المساء شعرت بحلاوة وجمال التسليم لمشيئة الله، وتمكنت من أن أشعر بالأتكال الكامل عليه، وقدمت لديه نفسي بكل مشاغلها واهتماماتها. وكانت خلوتي هذه منعشة لنفسي

وشعرت بالسعادة تغمرني لأني أخذت الرب نصيبي. ولست مستعداً أن أُضحي بهذه السعادة من أجل أي شيء آخر في العالم. بل إني أحس أن الحيوان هو أفضل بكثير من إنسان يعيش بدون الله. يارب زد محبتي وإعزازي لك.

* * * *

ويتحدث برينارد في مذكراته عن الأيام السبعة التالية عن حالات مختلفة مر بها من الناحيتين الروحية والذهنية. فيتكلم عن أشواقه العظيمة لله ولحياة القداسة، وعن رغباته الخالدة في خلاص الآخرين، وعن الصلاة بحماس وحرارة، وعن القوة للمصارعة مع الله وعن الطمأنينة والتعزية من وقت لآخر، ولكنه يعبر أيضاً عن احساسه بالنوازع الشريرة في قلبه، ويشكو بمرارة من جدوبته وجفافه، ومن المتاعب التي يسببها له جسد الموت، ثم يقول: "إن كل شيء أتمتع به هو من بركات النعمة الغنية المجانية". وعبّر برينارد عن حزنه العميق أحياناً إذ يجد نفسه وحياته أقل من المستوى الذي ينبغي أن يكون عليه باعتباره ابناً لله.

* * * *

الأربعاء ٣٠ يونية

قضيت هذا اليوم وحيداً في الخلاء، صائماً ومصلّياً، وكنت في البداءة في صراع نفسي رهيب، ولكني بعدئذ تمتعت بجمال وحلاوة الصلاة السرية.

السبت ٣ يولية

كان العار الذي لحق بي بسبب طردي من الكلية يؤلمني كثيراً، لأنه جعلني مضغة في أفواه الذين يعارضوني ويكرهونني. ولم يكن لي ملجأ أحتمي به وأستريح فيه سوى الرب وحده. ووجدت راحة كبيرة في الاستلام لمشيئة

الله، وفي انتظار تصرفه هو في الوقت الذي يراه، وفي أداء عمله، وفي تحمل كل شيء لاتمام مسرته. وشعرت بالشكر لله لأجل كل ما كان يقضِ مضجعي في الماضي من ضعف أو ارتداد، لأني أحسست أنه كان وسيلة استخدمها الرب لأكون أكثر تواضعاً وأكثر خضوعاً له. وشعرت بالسرور لأن أكون صغيراً، أن أكون لا شيء، حتى وأن أستلقي في التراب. وتمتعت بالشركة الجميلة وبالتعزية الحلوة في أن أصلّي لأجل أولاد الله وملكوت المسيح، وتنسمت نفسي في حماس ولهفة قداسة الله وبركاته. "آه تعال، أيها الرب يسوع! تعال سريعاً. آمين".

الاثنين ١٩ يولية

يبدو أن رغباتي المقدّسة تتحقق بصفة خاصة عندما أتحرر من كل ميل للعالم، وعندما أصلب نفسي تماماً لاغراءات العالم ولشهواته. إن نفسي تتوق إلى مزيد من الشعور المستمر أني مجرد غريب ومسافر في هذا العالم، حتى لا أنحرف هنا أو هناك إلى أن أصل إلى بيت أبي السماوي.

الخميس ٢٩ يولية

تقدمت للامتحان أمام المجمع الذي انعقد في دنبري. واختبروني في معلوماتي واختباراتي الدينية وأعطوني تصريحاً بالوعظ. وبعدئذ شعرت بتكريس أكثر لله، واشتركت في الصلاة مع أحد خدام الله، وعندما استلقيت على السرير لأنام كنت قد قررت أن أكرس نفسي لله كل أيام حياتي.

الخميس ١٢ أغسطس

قاسيت من بعض التجارب الداخلية المُرة، ولم تكن لديّ قوة للصلاة، بل تصوّرت أني مرفوض من الله. وبدا لي أني لن أتمكن من مواصلة خدمة الوعظ. ومع ذلك فحوالي الساعة

العاشرة اضطررت للوعظ. ومبارك الرب الذي متعني بحضوره وبروحه في الصلاة وفي الوعظ بقوة: (وكانت العظة من أيوب "إِنْ مَاتَ رَجُلٌ أَفَيَحْيَا؟ كُلَّ أَيَّامِ جِهَادِي أَصْبِرُ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ بَدَلِي" (أي ١٤: ١٤). وعندما كنت أعظ كان بعض الهنود يصرخون حزناً على خطاياهم، وبدا على جميعهم الاهتمام بأمر خلاص نفوسهم.

الثلاثاء ١٧ أغسطس

إن نفسي حزينة للغاية. فما يؤلمني جداً ويجرح قلبي ما أحس به أحياناً من اعتداد بالذات، والكبرياء الروحية، وحدة المزاج، في الوقت الذي أسعى فيه جاهداً لنجاح عمل الله. إني أشتاق أحياناً إلى أن أعترف بأني ما زلت مخلوقاً ناقصاً كله عجز وضعفات.

الجمعة ٢٠ أغسطس

تمتعت هذا المساء بساعة حلوة في خلوتي مع الله وشعرت أن الرب قد رفعني فوق خداع وغرور هذا العالم السفلي، وأذاقني قبساً من الأفراح السماوية ومباهجها، وسمحت إرادته أن تطل نفسي على عالم الأبد وأن أتذوق السماء حقاً. وكانت لي فرصة جميلة جداً تمتعت فيها بحلاوة وجمال التضرع إلى الله لأجل الآخرين. أشكر الرب على هذه الفرصة ولأنه ساعدني على أن أصلّي له بحماس وحرارة.

الاثنين ٣٠ أغسطس

قضيت فرصة صلاة خاصة مع صديق مؤمن وأظن أني لم أتعمق من قبل في التمتع بعالم الأبد قدر ما تعمقت وتمتعت في هذه الفرصة، فقد شعرت أنني ذهبت بعيداً إلى عرض المحيط بكل فرح وبهجة، لدرجة أن نفسي تخطت كل الشرور والمفاسد القابعة على شواطئ العالم الفاني

الزائل. وبدت أمامي كل المباهج الزمنية المغرية نافلة لا تستحق الاهتمام، كما ظهر لي أن كل ما كنت أشكو منه أحياناً في عالم الزمن الحاضر من فشل قاسٍ مرير إنما هي أمور تافهة لم تكن تستحق مني أي اهتمام بالمرة.

السبت ٤ سبتمبر

قضيت بعض الوقت في تأملات مفيدة في رسالة رومية "لأَنَّ نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ وَالْمَوْتِ" (رو ٨: ٢). وقرب المساء كانت لي فرصة صلاة جميلة، مكنني الرب فيها من أن أصارع بحماس من أجل تقدم ملكوت الفادي. وصلّيت بحرارة من أجل أخي جون، طالباً من الرب أن يجعله يشعر بأنه سائح وغريب على هذه الأرض، وأن يؤهله لخدمته في العالم.

الإثنين ٦ سبتمبر

قيل لي إن الأعداء يحاولون أن ينتهزوا أية فرصة للقبض عليّ وسجني لأني وعظت مؤخراً في نيوهيفن. ولكن هذا جعلني أكثر حماساً وجدية، كما دفعني إلى أن أطرد من ذهني أي أمل في مهادنة العالم أو الارتباط بأية صداقة معه. وذهبت إلى الخلاء، وهناك صلّيت منفرداً وطرحت الأمر كله أمام الله.

الخميس ٩ سبتمبر

قضيت جانباً من اليوم بمفردي، متمتعاً بحضور الرب معي. ثم زارني بعض الأصدقاء، فصلّيت معهم، وتمتعنا سوياً بالتأملات الجميلة حول بعض الفصول الكتابية. وفي المساء ذهبت بمفردي إلى المدينة وتقابلت مع بعض الأصدقاء وتحدثت إليهم، وتمتعنا معاً بفرصة ترنيم جميلة، ثم عدت إلى المزرعة دون أن يكتشفني الأعداء. وهكذا يحفظني الرب باستمرار.

الخميس ١٦ سبتمبر

تمتعت بالرب كثيراً في المساء في صلاتي السرية، وشعرت برغبة غير عادية في تسليم نفسي للرب تماماً لتكون حياتي مطابقة لمشيئة فيها ولأفعل ما يرضيه وما يسره. وكنت منذ بضعة أيام أشعر بارتباك شديد وحزن عميق بسبب افتقادي إلى روح المحبة والرحمة المسيحية. يا ليت الرب يغفر لي تماماً حماسي غير المقدّس ويعطيني روح الوداعة والتواضع.

السبت ١٨ سبتمر

شعرت ببعض الشفقة والعطف إزاء الآخرين، ولكني طلبت من الله المزيد من هذا الشعور. ولذلك سرعان ما منحني الرب شعوراً بالعطف والوداعة والمحبة والرقة تجاه البشر أكثر من ذي قبل. وهأنذا أحس بكل محبة نحو أعدائي ومضطهدي. وتمتعت بقوة الروح القدس أن تكون مطابقة لأقوال وتعاليم الرب يسوع المسيح.

الخميس ٢١ أكتوبر

أحس احساساً عميقاً بأن هذا العالم باطل وفانٍ. إنني أحب أن أعيش على حافة الأبدية وأمام كرسي المسيح، فإن هذا يعطيني شعوراً حلواً ومقدّساً فيما يختص بالأمور الإلهية.

الجمعة ٢٢ أكتوبر

شعرت اليوم برغبة غير عادية في الاعتزال عن العالم، وابتهجت نفسي كثيراً بالشعور أنني مجرد غريب وسائح على هذه الأرض، لا ينبغي أن يعبأ كثيراً أو قليلاً بأمور هذا العالم الفاني أو مطامعه الزائلة. وغمر السرور نفسي عندما تأملت في العبارة الواردة في "فِي الإِيمَانِ مَاتَ هؤُلاَءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا

وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا، وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عَلَى الأَرْضِ" (عب ١١: ١٣).

الخميس ٤ نوفمبر

آه، كم أشتاق إلى حياة القداسة! كم أتوق إلى أن يملأ الرب كل نفسي وكياني! آه كم أحب أن أحس دائماً بالتطلع إلى كنعان السماوية، حتى أتمتع كلية بالميراث السماوية! آه، كم أتضرع إلى الله أن يحفظني من كل عثرة وأنا أمضي، في طريق غربتي، نحو السماء!.

الأربعاء ٢٤ نوفمبر

جئت إلى نيويورك، وتضرعت إلى الرب بحرارة وحماس كي يعطيني عونه وإرشاده. أحسست باضطراب ليس بقليل بسبب ضجيج المدينة وصخبها. ولم أتمتع إلا بوقت قصير في خلوة مع الله، ولكن نفسي كانت مشتاقة إليه متعلّقة به.

يوم الرب ٢٣ يناير عام ١٧٤٣

أشعر أنني لست جديراً بالخدمة بين الهنود الحمر في أمريكا الذين أنا في طريقي إليهم إن شاء الرب. إنني أحس بتعاسة الناس البعيدين عن الله. فالبعد عن الله أكثر مرارة من الموت.

الجمعة ٢ فبراير

وعظت الليلة الماضية عظة الوداع. وقضيت كل الوقت هذا الصباح في الصلاة حيثما ذهبت، وبعد أن ودعت أصدقائي، شرعت في رحلتي نحو الهنود الحمر.

الفصل الثاني

الكرازة للهنود الحمر في أمريكا

الجمعة أول أبريل ١٧٤٣

ذهبت إلى كونوميك حيث يعيش الهنود، وهناك اتخذت لي مأوى فوق كومة من القش.

* * * *
ظل برينارد طوال الخمسة الأيام التالية مكتئباً مغموماً. وتحدث في مذكراته عن "أمواج الله التي طمت فوق نفسه"، وعن شعوره بأن رحمة الله قد بدت وكأنها بعدت عنه إلى الأبد. وقال إن الضيق والعذاب الذي اجتازه لا يمكن وصفه أو تصوّره، ولكنه في نفس الوقت الذي يتحدث فيه عن آلامه يقول: "إنني لا أعرف بالضبط ما يقصده الله من كل هذه الأحزان التي أجتازها، ولكني أعرف أنني أستحقها كلها وأكثر منها آلاف المرات". ثم يصف برينارد في مذكراته ترحيب الهنود به واستقبالهم الطيب له، ويذكر أنهم كانوا ينصتون باهتمام إلى التعاليم التي كان يوجهها إليهم.

يوم الرب ١٠ أبريل

استيقظت مبكراً، وقضيت وقتاً طويلاً في الخلاء في الصلاة والتأملات الروحية. ثم وعظت للهنود الذين كانوا ينصتون في رزانة ووقار. وتأثر اثنان أو ثلاثة منهم وبدأوا يفكرون باهتمام في أمر خلاصهم. فتحدثت مع كل واحد منهم على حدة قالت لي واحدة: "إن قلبي يصرخ في داخلي منذ أن سمعتك تعظ لأول مرة".

السبت ١٦ أبريل

لازلت أشعر بالحزن من أجل النفوس البعيدة. وعظت بعد الظهر ولكني شعرت بالفشل أكثر من ذي قبل، وخشيت لئلا تفشل كل الوسائل في تبشير هؤلاء الناس وكسبهم للمسيح، فذهبت إلى مخدعي وسكبت نفسي أمام الله طالباً الرحمة، ولكني لم أشعر بارتياح.

الأربعاء ٢٠ أبريل

قضيت هذا اليوم في الخلاء منفرداً، وخصصته للصوم والصلاة لكي يمنحني الله نعمة إلهية تقدّس لنفسي كل هذا الصراع الروحي والأحزان الداخلية. وبمناسبة عيد ميلادي جعلت أتذكر طيبة الرب معي ورأفته بي طوال العام الماضي حتى بلغت اليوم الخامسة والعشرين من عمري. وقد امتلأت نفسي بالألم وأنا أفكر في أني طوال تلك السنين لم أعش لمجد الله إلا قليلاً. وفي خلوتي مع الله هذا اليوم طرحت أمامه مشاعري وشكواي هذه.

السبت ٣٠ أبريل

إنني أعيش في مكان موحش جداً، على بعد حوالي ثمانية عشر ميلاً من "المباني". وأسكن مع رجل سكوتلندي فقير، إلا أن زوجته تكاد لا تعرف الإنجليزية. ونتناول كلنا طعاماً بسيطاً للغاية. والمكان الذي أنام فيه عبارة عن كومة صغيرة من القش على بضعة ألواح من الخشب على ارتفاع قليل من الأرض. وعملي شاق ومتعب جداً، فأنا أسافر مشياً على الأقدام مسافة ميل ونصف، وفي طرق سيئة جداً، كل يوم تقريباً ذهاباً وإياباً، لأكرز بين الهنود. وأقابل بعض الظروف الأخرى التي لا تقل سواء أو رداءة. يا ليت الرب يساعدني حتى أتعلم أن "أحتمل المشقات، كجندي صالح ليسوع المسيح"!

الأربعاء ١٨ مايو

ليس لي عزاء أو سلوى أو راحة إلا في شخص الرب. إنني أعيش في البرية الموحشة القاسية ولا يوجد سوى شخص واحد يعرف الإنجليزية ويستطيع أن يتحدث معي بها. وهو نفس الشخص الذي يقوم بالترجمة لي في الوعظ، وهو شاب هندي زكي. ليس معي أي زميل مسيحي أستطيع

أن أفضي إليه بما في نفسي وأن أصارحه بأحزاني الروحية، أو أن نتحدث معاً عن الأمور السماوية، أو أن نشترك معاً في الصلاة. أمّا أحوال الهنود فهي صعبة جداً إذ ليس لديهم أرض خاصة بهم يعيشون عليها، ولكنهم يعيشون على أرض يدعي الهولنديون ملكيتها ويهددونهم دائماً بطردهم منها. ولا يعبأ الهولنديون بنفوس هؤلاء الهنود المساكين، وعلى ما أعلم، فهم يكرهونني لأني جئت لأكرز بالمسيح بين الهنود.

الاثنين ١٥ أغسطس

كان جسدي ضعيفاً متعباً للغاية، وظننت أن هذا الجسد الضعيف سيصبح تراباً بعد وقت قليل، وفكرت أني على وشك الدخول إلى العالم الآخر. كانت حاجتي ماسة إلى طعام مناسب. ولم يكن ممكناً أن أحصل عليه إذ أنني مضطر أن أذهب مسافة عشرة أميال أو خمسة عشر ميلاً لكي أحصل على الخبز. وعندما أعود به أجده أحياناً يفسد ويتلف قبل أن آكله، وحينئذ تمضي عليّ بضعة أيام بدون خبز إلى أن أجد فرصة لاحضار كمية أخرى منه. كانت هذه حالتي الآن، ولكن الرب الطيب كان يدبر لي بعض الطعام الهندي. وكنت قانعاً راضياً بظروفي، وتمتعت بحلاوة وجمال التسليم لله في كل شيء. وفي الصلاة تمتعت بالشعور بالحرية الحقيقية العظيمة وشكرت الرب على ظروفي الحاضرة كما لو كنت أعيش كملك.

* * * *

وبعد ذلك ترك برينارد الهنود إلى حين، وسافر إلى نيويورك ونيوهيفن.

* * * *

الأربعاء ١٤ سبتمبر

هذا اليوم وموعد حفل التخرج من الكية وتسليم الدبلومات، وكان المفروض أن أكون واحداً من المحتفي بهم الذين يتسلمون شهادتهم، ولكن يبدو أن الرب يرى بحكمته أن يحرمني من هذا الامتياز لقصد خاص. ومع أني كنت أخشى أن أصاب بالاضطراب والارتباك عندما أرى زملائي يتسلمون الشهادات، إلا أن الرب أعانني لأقول في هدوء وتسليم "لتكن مشيئتك". وشعرت حقاً، بفضل المحبة والنعمة الإلهية، بهدوء عجيب يسود وأتوقع أن أُجرب كثيراً بسببها.

الثلاثاء ٤ أكتوبر

عدت هذا اليوم إلى بيتي وإلى جماعة الهنود الذين كنت أعيش بينهم. وكم كان فرح هؤلاء الهنود عظيماً بعودتي إليهم سالماً! فشكرت الله لأنه حافظ على خلال مرض ألم بي وخلال الرحلة الشاقة المتعبة التي قمت بها، إذ أن الرب حفظني وضمن سلامتي مع أني تعرضت كثيراً للبرد والجوع في البرية حيث لا تتوافر أية وسائل الراحة في الحياة.

يوم الرب ١٦ أكتوبر

شعرت في المساء بحقارتي وعدم استحقاقي. ولكن هذا الشعور جذبني وقربني إلى الله أكثر مما أبعدني عنه. فخلوت إلى نفسي (وكان معي في ذلك الوقت صديق)، وسكبت نفسي أمام الله بحرية وصراحة. وكنت أخشى أن يدهمني الهنود الفرنسيون ويقضوا على حياتي أو يأخذوني معهم أسيراً، ولكني عندما ألقيت بنفسي أمام الله وتذكرت مراحمه معي وعنايته بي ذهبت عني هذه المخاوف.

الخميس ٣ نوفمبر

قضيت هذا اليوم في الصوم والصلاة، وشعرت في الصلاة بقوة ومعونة من الله. وبعد ذلك قرأت إيليا النبي. وتأملت في

إيمان إيليا وحماس وقوة ذلك الرجل المقدّس، وكيف كان يصارع مع الله في الصلاة. فأثارت هذه القصة الحمية في نفسي وصرخت قائلاً: "أين هو الرب إله إيليا؟". آه، لقد كنت أتوق إلى مزيد من الإيمان. وطلبت من الرب بحرارة أن "نصيب اثنين من روح إيليا" يحل عليَّ .. والذي شجعني وقواني وأنعش نفسي هو معرفتي أن إله اليوم هو نفس الإله الذي كان أيام إيليا، لأنه هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد. وتمكنت من أن أُصارع مع الله بالصلاة بلجاجة وقوة أكثر من الشهور الماضية. وشعرت بأنه لا يوجد شيء أصعب من أن يستطيع الله عمله، ولا يوجد شيء أعظم من أن أرجو نواله منه. وقرأت بعد ذلك من الأصحاح الثالث إلى الأصحاح العشرين من سفر الخروج، ورأيت رؤى جديدة عن مجد الله وجلاله أكثر مما رأيت من قبل، وركعت على ركبتيّ مراراً وصرخت إلى الله أن يعطيني إيمان موسى وأن يظهر لي قبساً من مجده الإلهي. وبدا لي أن الأصحاح الخامس عشر هو نفس الكلمات التي نطقت بها نفسي في فرصة تعزياتها الروحية الأولى حالما عبرت البحر الأحمر بطريقة غير متوقعة. آه، لكم فرحت نفسي بالرب حينئذ! والآن بدت هذه الاختبارات في ذهني حية ومنعشة، وباركت نفسي الله من جديد لأنه فتح أمامي الطريق الذي لم يخطر بالي ليحررني من الخوف من الأعداء، عندما كدت أيأس من الحياة. ثم قرأت قصة تغرب أبرام في أرض كنعان. وذابت نفسي في داخلي عندما تأملت في إيمانه، وفي اتكاله على الله وثقته فيه وشركته معه، وكيف أنه عاش في هذا العالم كغريب ونزيل. وبعد ذلك قرأت قصة يوسف والآلام التي تحملها وطيبة الله

معه وأحسانه إليه. وشكرت الله لجل هذه النماذج من حياة الإيمان والصبر.

الخميس ١٠ نوفمبر

أمضيت هذا اليوم منفرداً في الصلاة والصوم. وتأثرت كثيراً عندما قرأت الأصحاح التاسع عشر من سفر الملوك الثاني. ورأيت أن الطريق الوحيد المفتوح أمام أولاد الله المتعبين المتضايقين هو أن يتوجهوا إلى الله بكل أحزانهم وآلامهم. فهذا ما فعله حزقيا، إذ تقدم إلى الله وهو في ضيقته الشديدة ونشر أمام الله شكواه. وقرأت بعد ذلك قصة تجارب داود، وكيف تقوى بالرب، مما جعلني أقترب أكثر إلى الله وأصرخ إليه وأعتمد عليه وأتقوى فيه. وانتعشت نفسي عندما تأملت في الطباع المباركة التي تكونت في شخصية داود بواسطة تجاربه، فإن كل حقده ورغبته في الانتقام قد انتزع منه حتى أنه ناح لموت أعدائه. ومبارك الرب الذي أعطاني بعض هذا الطبع الإلهي، فأصبحت نفسي تغفر كثيراً للآخرين، وأصبحت أحب أعدائي من كل قلبي.

الثلاثاء ٢٩ نوفمبر

إنني أحب أن أسكن بمفردي في كوخي الصغير، حيث أستطيع أن أقضي وقتاً أطول في الصلاة.

الأربعاء ٣٠ نوفمبر

واصلت دراستي للغة الهنود. إنني أرحب بأن أعيش في أي مكان، مهما كان حقيراً، طالما أن الرب يكون معي هناك.

الخميس ٢٢ ديسمبر

قضيت هذا اليوم كله منفرداً في الصوم والصلاة وقراءة كلمة الله والتأمل في المناسبات الكثيرة التي أنقذ الله فيها أولاده.

أن الله هو هو اليوم كما كان ينقذ قديسيه في العصور الغابرة من الضيقات العظيمة التي حلت بهم أو واجهتهم.

يوم الرب أول يناير عام ١٧٤٤

أقول الحق، إن الرب كان كريماً معي ومنعماً عليا، بالرغم من أنه سمح لي أحياناً أن أجتاز بعض الألام. وقد جاد عليّ بالكثير لدرجة إنني تمكنت في حوالي الخمسة عشر شهراً الماضية من أن أوزع ما يقرب من مائة جنيه للأعمال الخيرية. مبارك الرب الذي استخدمني كوكيل له لأوزع جزءاً من خيراته! يا ليتني أذكر دائماً أن كل ما لدي أنما يأتيني من الله وينبغي أن أعود به إليه. مبارك الرب، الذي حملني ورعاني خلال كل المتاعب والضيقات والصعوبات التي مرت بي في العام الماضي، كما أعانني في صراعي الروحي وآلامي النفسية. آه، إنني أريد أن أبدأ هذا العام مع الله، وأقضيه كله لمجده، سواء في الحياة أو في الموت.

الأثنين ٢ يناير

لايوجد شيء يحفظني من كل طرق الشر سوى قوة الله، فأنا لا أستطيع أن أفعل شيئاً دون معونة من فوق. آه، يا رب أعطني مزيداً من النعمة الإلهية.

الثلاثاء ٣ يناير

إن وحدتي وانعزالي لا تجعل الساعات تمر علي متثاقلة بطيئة. فكم أشكر الله على ساعات العزلة هذه، فهي فرصة للشركة الجميلة مع الله. أن الأسابيع التي اضطررت أن أقضيها بعيداً عن البيت في تعلم لغة الهنود قد حرمتني كثيراً من فرص الوجود أمام عرش النعمة، ولذلك أحسست ببعض الجدوبة والجفاف. ولكني عندما أعود إلى البيت وأتفرغ للتأملات الروحية، وللصلاة وللصوم، فأن أحساساً

جديداً يتفتح في ذهني، وأشعر أن نفسي تتوق إلى حياة التقشف والوداعة والانعزال الكامل عن كل أمور هذا العالم. وقد امتلأ قلبي هذا المساء بالتعزية والخشوع في الصلاة والتأمل لدرجة أني لم أكن أريد أن أنام. وظللت في هذه الشركة المباركة مع الله حتى حوالي منتصف الليل.

الجمعة ٦ يناير

جددت بكل وقار واحترام تكريسي لله، وشعرت بالشوق إلى النعمة التي تمكنني من أن أحافظ دائماً على عهودي معه. وقد بدا الزمان أمامي قصيراً، والأبدية قريبة، وبدا أمامي هذا العالم بكل مسراته ومكاسبه مجرد فقاعة جوفاء أو حلم خداع.

السبت ١٠ مارس

شعرت أني ميت بالنسبة للعالم وشهواته. وبدت أمامي كل غنى ومظاهر وسائر مشتهيات العالم وكأن لا طعم لها ولا معنى لها. وتاقت نفسي إلى أن أصلب تماماً بكل الأمور الأرضية بواسطة صليب المسيح. وقد رضخت نفسي لمشيئة الله في كل شيء، وأدركت أنه لم يحدث لي شيء إلا وكان هو الأفضل لي ولخيري. وامتلأت نفسي بالمحبة والرقة وأنا أتضرع إلى الله لأجل الأخرين، وشعرت بعاطفة عذبة خاصة تجاه بعض الخدام الأتقياء من معافي. وصلّيت بحماس لأجل كل المسيحيين، ولأجل أولئك الذين كنت أخشى أن يكونوا أعدائي، ولم أفه بكلمة قاسية واحدة ضد أكثرهم شراً، ولم يخطر ببالي أي فكر فيه ضغينة أو كراهية ضد أي واحد منهم. وقد شعرت شعوراً قوياً بعدم جدارتي، ولكن نفسي فاضت بالمحبة والحمد لله من جديد عندما فكرت في أنه سيجعل أولاده يحبونني ويستقبلونني كأحد

أخوتهم أو مواطنيهم. وعندما فكرت في أنهم سيعاملونني هكذا اشتقت للقائهم لأعبر لهم بإخلاص وبساطة عن مدى حبي وتقديري لهم. كما كنت مشتاقاً إلى أن أطلب الغفران من أي واحد يكون قد لاحظ شيئاً لايليق في سلوكي أو تصرفاتي الماضية وخصوصاً فيما يتعلق بغيرتي الدينية.

دعوات الكنائس

لم يكن قرار بريناردد أن يصبح مرسلاً سببه أنه لم يستطع الحصول على كنيسة يكون هو راعيها. فالحقيقة أنه قدمت له دعوات للخدمة في كل من ميلينجتون وايست هامبتون، وتعتبر الأخيرة أجمل مدينة في لونج أيلند، وواحدة من أكبر وأغنى الرعويات. كما أن ميلنجتون كانت قريبة من مسقط رأسه ووسط أصدقائه. وفضلاً عن ذلك فأن هذه الدعوات عندما قدمت له كان قد أمضى سنة كاملة بين الهنود عرف فيها ما كان يواجهه وسيواجهه من صعوبات ومتاعب. ولكنه بالرغم من ذلك اعتذر عن كل هذه الدعوات وقرر مواصلة الخدمة بين الهنود. ولو أن بريناردد لم يطع صوت الله لكان من المحتمل ألا يسمع العالم شيئاً عنه بالمرة. ولكن بريناردد كان مخلصاً، فأطاع الرؤيا السماوية، وقرر أن يكون مرسلاً، بالرغم من كل النفقات والتضحيات، ولذلك مضى في طريقه إلى ديلاوير.

* * * *

يوم الرب ٢٧ مايو

زرت الهنود وحضرت جنازة بينهم وتأثرت عندما رأيت تقاليدهم الوثنية. آه، يا ليتهم يرجعون من الظلمة إلى النور! وبعد ذلك وعظتهم وكانوا يصغون إلى بانتباه. ثم وعظت للبيض من "لأَنَّهُ إِنْ كَانَتِ الْكَلِمَةُ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ صَارَتْ ثَابِتَةً،

وَكُلُّ تَعَدٍّ وَمَعْصِيَةٍ نَالَ مُجَازَاةً عَادِلَةً" (عب ٢: ٣)، وبدا أن عدداً كبيراً منهم بدأوا يفكرون باهتمام في أمر خلاص نفوسهم. ومبارك الرب الذي أعانني وقواني لتوصيل الرسالة إليهم.

الأثنين ٢٨ مايو

شرعت في الانتقال من بين الهنود في ديلاوير قاصداً نيو آرك في نيو جرزي عن طريق البرية حيث تعبت جداً بسبب الحرارة، إلى أن آويت إلى مكان يسمى النهر الأسود، وكنت حينئذ متعباً ومرهقاً للغاية.

الأثنين ١١ يونية

اجتمع المجمع في هذا اليوم في نيو آرك لينظر في أمر رسامتي. وكان جسدي ضعيفاً جداً، ومع ذلك وضعت ثقتي في الله. وقد صرفت معظم اليوم بمفردي وخصوصاً قبل الظهر. وفي الساعة الثالثة بعد الظهر ألقيت عظمة الامتحان أمام المجمع، وكانت مبنية على "مُنْقِذاً إِيَّاكَ مِنَ الشَّعْبِ وَمِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ أَنَا الآنَ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ. لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ حَتَّى يَنَالُوا بِالإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيباً مَعَ الْمُقَدَّسِينَ" (أع ٢٦: ١٧، ١٨)، ومع أني كنت متعباً جسدياً وذهنياً إلا أن الرب أعانني. وبعد ذلك أجتزت امتحاناً أخر أمام المجمع.

الثلاثاء ١٢ يونية

اختبروني هذا الصباح اختباراً أخر عن معرفتي الاختبارية بالمسيحية. وعقد حفل رسامتي في الساعة العاشرة وألقى عظة الرسامة القس بمبر تون. وعند المساء توجّهت إلى الزابث تون. (وفي يوم الثلاثاء ١٩ يونية، شرع بريناد في

رحلة العودة إلى بيته بالقرب من ديلاوير فوصله بعد ثلاثة أيام).

يوم الرب ٢٤ يونية

تعبت كثيراً في تعليم الهنود، وكان بعضهم لا يبالي كثيراً بالمسيحية. وتصقلت كثيراً بصعوبة عملي. وكان أملي الوحيد في النجاح هو في الرب. الذي هو وحده يستطيع أن يرغبهم في قبول التعليم.

الأثنين ٢٥ يونية

كل شيء بخصوص تجديد الوثنيين يبدو أمامي، بحسب النظرة البشرية، أكثر ظلاماً من حلكة الليل. ومع ذلك فليس لي إلا أن أنتظر الرب أن يعمل عملاً مجيداً بينهم.

الخميس ٢٨ يونية

ذهبت حوالي الساعة التاسعة إلى مكان الخلاء الذي تعودت أن أعتزل فيه، وهناك تمتعت ثانية بجمال الصلاة وعذوبتها. وعند الظهر توجهت إلى الهنود لأعظهم، وفي طريقي إليهم رفعت قلبي إلى الله بالصلاة لأجلهم.

يوم الرب أول يولية

وجدت في نفسي بعد الظهر دافعاً قوياً حبياً لأن أتحدث إلى الهنود المساكين. وقد ساعدني الرب في كلامي معهم وشعرت أن الرب لمس ضمائرهم، لأني لم أشهد بينهم مثل هذا الاهتمام من قبل. وبعد أن فارقتهم، وفي أثناء عودتي إلى مسكني على مسافة ثلاثة أميال، كنت أصلّي وأسبح الله. وابتهج قلبي بعملي الخاص كمرسل، كما ابتهجت بشعوري بالحاجة إلى انكار النفس من نواحي كثيرة، ولازلت أواصل تسليم نفسي لله وألتماس رحمته، في صلاة بلا انقطاع، في كل لحظة، وبخشوع لذيذ. إلا أن جسدي أصبح

ضعيفاً جداً، وقد وهنت مفاصلي لدرجة أنني كنت بالكاد استطيع أن أمشي عندما أنزل من على الحصان. ولكني شعرت بقوة عجيبة غامرة داخل نفسي.

الجمعة ٦ يولية

قضيت الدقائق الأولى عقب استيقاظي في الصباح في الصلاة لأجل القداسة، لكي تغتسل نفسي وتتطهر من كل دنس أو نجاسة، ثم أمضيت بعض الوقت في قراءة كلمة الله والصلاة. وكنت طوال اليوم مشغولاً بأمر خلاص الوثنيين. وكنت أشتاق في العام الماضي إلى أعداد نفسي للمجد الأبدي، وكنت أتوق إلى الرحيل من هذا العالم بسرعة، ولكن اهتمامي بدأ يتركز مؤخراً في موضوع خلاص الوثنيين، فأصبحت أعيش لهذا الغرض.

السبت ٢١ يولية

ذهبت إلى الخلاء حوالي الساعة التاسعة للصلاة. ونحو المساء هاجت نفسي عندما سمعت أنه سيعقد في اليوم التالي وليمة كبيرة وحفل رقص كبير تمجيداً وعبادة للأصنام. وألح عليّ ضميري في أن أسعى لمنع هذا الاحتفال الكبير، ولأني لم أدر كيف أنفذ محاولتي هذه. وفي الصلاة، كنت أتضرع إلى الله بحماس وجهاد وحرارة، حتى أني عندما نهضت من على ركبتي كنت بالكاد قادراً على المشي، وكان عرقي يتصبب على وجهي وجسمي، ولم يكن لي أي مطمع خاص عندما كنت أصلّي من أجل الهنود المساكين، فقد عرفت أنهم كانوا سيجتمعون ليتعبدوا للشياطين وليس لله، وهذا ما جعلني أصرخ بحماس طالباً أن يظهر الله ذاته وأن يساعدني في محاولاتي إيقاف هذا الاجتماع الذي يتعبد فيه الناس للأصنام. وهكذا قضيت المساء، مصلّياً دون انقطاع

طالباً المعونة الإلهية حتى لا أكون معتمداً على نفسي فقط. وبدا لي أنه لايوجد أي شيء له أهمية بالنسبة لي سوى قداسة القلب والحياة، وتجديد الوثنيين ورجوعهم إلى الله. وتلاشت أمامي سائر اهتماماتي ومخاوفي ورغباتي، وكأنها أقل قيمة من نفخة ريح واشتقت إلى أن يقيم الله لنفسه اسماً بين الوثنيين. والحقيقة أنني لم أكن أهتم أين أسكن أو كيف أعيش، أو ما هي الصعوبات التي قد أجتازها في سبيل أن أربح نفوسا للمسيح. وظللت على هذه الحالة طوال المساء وجانباً كبيراً من الليل لدرجة أنني عندما نمت حلمت بهذه الأشياء، وعندما استيقظت كانت هذه الأفكار هي أول ما خطر ببالي، وبدأت من جديد أصلّي إلى الله أن يمجد اسمه ويظهر قوته ضد إبليس.

يوم الرب ٢ يولية

عندما كنت في طريقي إلى الهنود، كنت رافعاً قلبي باستمرار إلى الله طالباً معونته، آمالاً أن يجعل الله هذا اليوم يوم قوته يظهرها بين الهنود المساكين. وعندما وصلت إليهم، وجدتهم منهمكين في صخبهم ومرحهم، ولكنني نجحت في جذب انتباههم وفي جعلهم يصغون إلى وعظي، ومع ذلك لم ألحظ ما يدل على أن قوة الله تعمل بينهم بكيفية خاصة. ووعظتهم ثانية بعد الظهر، ومع أنهم أصغوا بأكثر انتباه من ذي قبل، إلا إني مرة أخرى لم أشعر بقوة الله تعمل بينهم بشكل ظاهر، مما جعل الشيطان ينتهز هذه الفرصة ليجربني قائلاً انه "لا يوجد إله، وحتى إذا كان يوجد فهو لا يستطيع أن يغير حياة هؤلاء الهنود ويجددهم إلا بعد أن يصبح لهم قسط أكبر من التعليم". ومع ذلك ظللت

مصمماً على أن أنتظر الرب ليخلص الوثنيين، مع أن الشيطان كان يحاول أن يقنعني بالعكس.

الثلاثاء ٢٤ يولية

توجّهت غرباً مسافة حوالي سبعة عشر ميلاً لأتقابل مع جماعة من الهنود. واجتمعت مع حوالي ثلاثين منهم، ووعظتهم في المساء وأقمت معهم. ولقد كانت رغبتي هي خلاص الوثنيين، وكان كل أملي في الله. وفي اليوم التالي وعظت هؤلاء الهنود ثانية، ثم عدت إلى المستعمرة الأيرلندية، وهناك وعظت لجمهور كبير، فاستيقظت ضمائر كثيرين منهم بشكل ملحوظ. وفي يوم الخميس عدت إلى بيتي منهوك القوى ومتعباً للغاية. وفي يوم الأحد لازمت فراشي بسبب المرض، ولم أتمكن من الخروج للوعظ. ثم اشتد على المرض ولازمني طوال الأسبوع. ويقول برينارد أن إبليس أستغل هذه الفرصة ليحاربه ببعض التجارب الشاذة.

الجمعة ١٠ أغسطس

كنت منذ أول الأسبوع، ولا أزال متعباً جداً، ولكن بالرغم من ضعفي زُرت الهنود الفقراء ووعظتهم مرتين وأنا جالس طوال الوقت من فرط ضعفي. وعند المساء كان الاعياء والمرض قد أخذ مني كل ما أخذ. وهكذا استمرت حالتي حتى وصلت في يوم الجمعة إلى درجة من الضعف والإعياء لم أتمكن معها من القيام بأي عمل ولا حتى أن أصلّي. ولذلك أنا غير قادر على التحكم في أفكاري أو اهتماماتي، بل أني أدعها تمثُل أمامي اعتباطاً، لأنه ليس لدي القدرة على القراءة ولا على التأمل والصلاة، وهذا بالطبع يجعل ذهني مضطرباً مرتبكاً. وأنا أبدو في نظر نفسي كأنسان وضع كل ممتلكاته

على ظهر قارب واحد صغير، ثم ترك هذا القارب عائماً مع التيار السريع يعبث به كيفما شاء.

يوم الرب ٢ سبتمبر

تحدثت مع الهنود المساكين باهتمام وحماس، وقد قواني الله على أن أمارس الإيمان به بينما كنت أتحدث إليهم. ولاحظت أن بعضاً منهم كانوا خائفين من قبول المسيحية لئلا يصيبهم أذى أو مكروه، ولكني تمكّنت من اقناعهم ألا يخافوا من أمور السحر والشعوذة، وأن يتكلوا على الله ويثقوا فيه لضمان سلامتهم، متحدياً أمامهم كل قوى الظلام أن تبدأ بإيذائي أنا شخصياً إذا كان لها القدرة على ذلك. وقلت للناس أنني مؤمن، ومع ذلك فلا يستطيع السحر الذي يخافونه أو الحشرات التي يخشونها أن تصيبني بأذى. وقد شهدت بهذا، لا لكي أتفاخر بنفسي، بل لكي أمجد الله الذي يستطيع بقوته الإلهية أن يحفظ سلامتنا وأن يضمن حياتنا من كل قوى الشر الحقيقية والوهمية.

الأربعاء ٢٦ سبتمبر

إنني عاجز عن أشكر الله الذي حافظ على وأبقاني سالماً بعد أن ركبت الحصان وقطعت به مسافة أربعمائة وعشرين ميلاً "وحفظ لي كل عظامي، ولم تكسر واحدة منها".

الأربعاء ٣ أكتوبر

واصلت السفر في البرية، وكان الطريق أشق وأصعب ما رأيت، فلم يكن حولنا سوى الجبال الشاهقة والوديان السحيقة والصخور البشعة. وقرب المساء انحشرت إحدى أرجل الحصان الذي كنت راكبه في الصخور فسقط من تحتي، ومن فضل نعمة الله وكرم محبته أنني لم أصاب بأذى . إلا أن رجل الحصان كُسرت، ولكوننا في مثل هذا المكان

البشع وعلى بعد أكثر من ثلاثين ميلاً من أقرب بيت، رأيت أنه لا أمل في الإبقاء على حياته، ولذلك اضطررت آسفاً إلى قتله ومواصلة رحلتي مشياً على الأقدام. وعندما دنا الظلام أشعلت ناراً، وقطعت قليلاً من الشجيرات وعملت منها شبه سقف فوق رأسي يحميني من الصقيع الذي كان قاسياً تلك الليلة، ثم سلمت أمري لله في الصلاة، واستلقيت على الأرض ونمت في هدوء.

الجمعة ٥ أكتوبر

عند نهر ساسكوهانا وجدت اثنى عشر بيتاً هندياً. وبعد أن حييت رئيسهم أخبرته عن رغبتي في أن أعلمهم شيئاً عن المسيحية. فاجتمع الهنود ووعظتهم. ثم سألتهم عما إذا كانوا يحبون أن يسمعوني ثانية. فأجابوا على الفور لأنهم مستعدون للاستماع إلى كلما أردت أن أعظهم.

السبت ٦ أكتوبر

استيقظت مبكراً، ورجوت الرب أن يساعدني في عملي. وقرب الظهر وعظت للهنود، وبعد الظهر زرتهم بيتاً بيتاً داعياً إياهم أن يأتوا في اليوم التالي ليسمعوني ثانية، وأن يؤجلوا برنامج الصيد الذي كانوا مُزمعين أن يبدأوه يوم الأحد ــ أن يؤجلوه حتى يوم الاثنين. وأمضيت أكثر من ساعة في فرصة صلاة سرية، تمكنت فيها من أن أسكب قلبي أمام الله ليزود نفسي بالنعمة اللازمة لي في الخدمة بين الهنود المساكين. وصلّيت لأجل خدام الله وشعبه ولأجل الأصدقاء الأعزاء البعيدين عني... مبارك الرب.

الاثنين ٨ أكتوبر

زرت الهنود لكي أودعهم قبل مفارقتي لهم، ولكنهم، أكثر مما كنت أتوقع، أبدوا رغبتهم في أن يسمعوني أعظ ثانية. وحاولت أن أجاوب كل أسئلتهم واعتراضاتهم عن المسيحية.

الثلاثاء ٩ أكتوبر

في الصباح استودعنا أنفسنا لدى الله في الصلاة طالبين أن يرعانا ويحفظنا بعناية خاصة، ثم شرعنا في رحلة العودة إلى البيت. وفي المساء كانت الذئاب تعوي حولنا، ولكن الله حفظنا.

الخميس ٢٢ نوفمبر

في المساء ضللت طريقي في البرية، ووجدت نفسي أتجوّل فوق الجبال وعبر المستنقعات وأماكن معظمها خطر جداً. وكنت أعاني من البرد ومن مرض في المعدة لدرجة أن كل خطوة كانت مؤلمة جداً لي. ولكن حوالي الساعة التاسعة وجدت بيتاً، ورحب أصحابه بي فاسترحت قليلاً. إلا أن الصعاب والمتاعب التي صادفتها في الطريق خدمتني، إذ جعلتني أمجّ الأرض وأشتاق أكثر إلى حلاوة السماء وراحتها.

الخميس ٦ ديسمبر

انتقلت مؤخراً إلى بيت جديد خاص بي، وأصبحت سعيداً بفرص الخلوة مع الله في المكان الجديد. وخصصت اليوم للصوم والصلاة، فقد كنت مشتاقاً إلى فرصة جديدة للشركة مع الله بعد أن حُرمت منذ أيام من فرصة كهذه بسبب ضعفي الجسدي والمتاعب الأخرى. وصلّيت إلى الله بحرارة من أجل العمل العظيم الذي كنت مضطلعاً به والمصاعب التي كانت تلازمني، فإنه مما كان يؤلمني أن بعض الهنود كانوا لا يزالون يتعبدون للشياطين بالرغم من كل تعبي معهم. ولذلك قضيت هذا اليوم صائماً مصلّيا طالباً بركة الرب

على نفسي وعلى أصدقائي وعلى كنيسة الله. وتمتعت ببركة روحية غامرة أكثر مما كنت أتوقع، فقد كان الرب كريماً جداً معي، وعند المساء شعرت بالبهجة تغمر قلبي لثقتي أن الله مجيد لا يتغيّر، وأن كل خلائقه تمجد اسمه القدوس.

يوم الرب ٩ ديسمبر

وعظت في جرينوتش في نيوجرزي، على بعد عشرة أميال من بيتي. وفي أول العظة الأولى لم أشعر بعاطفة قوية تجاه النفوس. ولذلك ذهبت إلى مكان منفرد بين الشجيرات وصرخت إلى الله، وكنت في صراع عنيف لأني لم أستطع أن أخاطب النفوس بمحبة أكثر، وأدنت نفسي بشدة لحاجتها إلى هذه العاطفة الإلهية، مع أني شعرت أنني لا أستطيع من ذاتي أن أغرس هذه العاطفة السامية في نفسي. أن الرب عاد فباركني، وشعرت بالقوة والحرارة في كل من الصلاة والوعظ كما شعرت بالغيرة والحماس عندما كنت أتحدث مخاطباً النفوس الثمينة. وأعتقد أن روح الله كان هناك، لأن التأثيرات كانت واضحة، إذ أن الدموع كانت تسيل على خدود كثيرين. ساعدني الرب في الصلاة السرية ومكنني من أن أهتف بسرور "تعال أيها الرب يسوع! تعال بسرعة!". وتاقت نفسي لله، للإله الحي. وقمت بعد الظهر بزيارة الهنود ووعظتهم. ووجدت أن المترجم الذي كان يرافقني قد بدأ يفكر باهتمام في خلاص نفسه ــ الأمر الذي ملأ نفسي بالتعزية والبهجة فإنني كنت مشتاقاً اشتياقاً عظيماً لتجديده. وبينما كنت أتحدث إليه كنت رافعاً قلبي لله من أجله، وعندما عدت إلى البيت سكبت نفسي أمام الله مصلّياً لأجله.

الخميس ١٣ ديسمبر

قضيت اليوم في الصوم والصلاة لكي يمنح الله النعمة المغيّرة للمترجم، ولثلاثة أو أربعة كان يبدو أنهم تحت تبكيت الروح القدس لخلاص نفوسهم. وعندما كنت أصلّي لأجلهم تمتعت بتركيز ذهني في الصلاة، فلم تتشتت أفكاري هنا وهناك.

يوم الرب ١٦ ديسمبر

لم أستطع أن أركز أفكاري في الصلاة دقيقة واحدة. وبينما كنت ذاهباً لأعظ الهنود كانت نفسي في صراع شديد. وتغلب على روح الفشل لدرجة أني كنت يائساً من امكانية عمل أي شيء صالح، ولم أعرف ماذا أقول ولا كيف أتصرف.

الثلاثاء ١٨ ديسمبر

تحدثت إلى الهنود، ولكني شعرت أن حديثي لم تكن به أية قوة تصل به إلى قلوبهم. وأخيراً ساعدني الرب على أن أتكلم بحرارة. وشعرت أن المترجم قد ساعده الرب بشكل مدهش، ولست أشك أن "روح الرب حل عليه". وتأثر معظم الكبار وسالت الدموع على خدودهم، وكان أحدهم ـ وأظن أنه كان قد جاوز المائة ـ بادي التأثر لدرجة أنه بكي بصوت عال طالباً الخلاص.

الأربعاء ١٩ ديسمبر

صرفت معظم النهار في الصلاة طالباً انسكاب روح الله على الناس، وشاكراً الله لأنه أيقظ ضمير المترجم وآخرين، ولأنه أعطانا بالأمس علامات واضحة على حضوره بيننا. وتمتعت بحرية كثيرة في الصلاة والتسبيح، وشعرت باهتمام بالغ بخلاص تلك النفوس الثمينة.

الجمعة ٢١ ديسمبر

نحو الظهر زرت شعبي وكنت طوال الطريق إليهم أصلّي منتظراً "أن أرى قوة الله" بينهم كما رأيتهم يوم الثلاثاء الماضي. وتلذذت بمشاعر الثقة بالله والاتكال عليه. ووعظت مرتين، وفي مكانين متباعدين، وباركني الرب في كل مرة، وكذلك بارك المترجم. وتبعني عدد كبير منهم من مكان لآخر، وأعتقد أنه كان هناك تأثير إلهي مميز بينهم.

* * * *

وبعد ذلك بقليل بدأ مستر بريناد رحلته إلى ساسكوهانا مستصحباً معه مترجمه. وقد تحمل في طريقه في البرية الشاقة كثيراً من المتاعب والصعوبات العظيمة. ومرة بعد أن بات ليلته في وسط الأحراش دهمته عاصفة شمالية شرقية كادت تطوح به وتهلكه. ولم يكن ممكنا له أن يتوقف قليلاً ليسترح، إذ لم يكن هناك أي مأوى، ولم يكن يستطيع أن يوقد أية نار بسبب الأمطار الشديدة. ولذلك قرر أن يواصل السير آملاً أن يجد مأوى يقضيان الليل فيه. ولكن تصادف أن حصانيهما أكلا طعاماً ساماً فأصيبا بإعياء شديد لدرجة أن بريناد والمترجم لم يستطيعا أن يركباهما، واضطرا أن يسيرا مشياً على الأقدام ويقود الحصانين أمامهما. وظلا هكذا إلى أن رتب لهما الرب برحمته، عند الغسق أن يجدا كوخاً متواضعاً أمضيا فيه تلك الليلة. وبعد أن جاء إلى ساسكو هانا، تجوّل مسافة مائة ميل تقريباً بالقرب من النهر، زار فيها بلاداً ومستعمرات كثيرة للهنود. والتقى بحوالي سبع أو ثماني قبائل متميزة، ووعظ لجماعات مختلفة مستعيناً بمترجمين مختلفين. وكان يحس بالفشل واليأس بسبب معارضة الهنود للمسيحية، ولكنه كان في أحيان أخرى يتشجع. وتقابل هناك مع البعض الذين سبق أن استمعوا

إليه في كونوميك ثم ارتحلوا إلى هذه الأماكن، وهؤلاء فرحوا لرؤياه ثانية واستمعوا إليه بسرور عظيم. وأمضى دافيد أسبوعين بين الهنود في هذه البقاع بالقرب من النهر، تحمّل فيها متاعب وصعوبات كثيرة، إذ اضطر كثيراً أن ينام على الأرض وأحياناً أخرى في العراء، وفي النهاية، عندما كان في طريقه في البرية، أصيب بحمى شديدة جعلته يخشى أن يموت هناك. ولكنه وصل أخيراً إلى كوخ تاجر هندي، فاستأذن منه في أن يمكث عنده وبالرغم من عدم وجود طعام أو دواء مناسب له، فقد سر الرب أن يقيمه من مرضه بعد أسبوعين فقط، استطاع بعده أن يركب حصانه ويواصل سفره، فوصل إلى ديلاوير يوم الخميس ٣٠ مايو بعد أن قطع في هذه الرحلة حوالي ثلثمائة وأربعين ميلاً، إلا أنه عاد إلى بيته متعباً جداً ومرهق الذهن للغاية ــ الأمر الذي كان عائقاً عظيماً له عن مواصلة نشاطه الديني.

يوم الرب ٩ يونيه ١٧٤٥

وعظت للجمهور عن "أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ" (إش ٥٣: ١٠). وتأثر كثيرون من الحاضرين الذين كان عددهم ما بين ثلاثة أو أربعة آلاف شخص، وبكى كثيرون من فرط التأثر.

الفصل الثالث

النهضة العظمى

كان عام ١٧٤٥ عام النهضة العظمى بين الهنود. "الَّذِينَ يَزْرَعُونَ بِالدُّمُوعِ يَحْصُدُونَ بِالابْتِهَاجِ. الذَّاهِبُ ذَهَابًا بِالْبُكَاءِ حَامِلاً مِبْذَرَ الزَّرْعِ، مَجِيئًا يَجِيءُ بِالتَّرَنُّمِ حَامِلاً حُزَمَهُ" (مز ١٢٦: ٥، ٦). هكذا كان الحال مع برينارد، فقد جاءه الانتعاش

أخيراً، وكان يوم ٧ أغسطس بالنسبة له هو يوم الأيام. فبعدما قاسى دافيد بريناردَ، رجل الصلاة، ما لم يتحمله سوى قليلين غيرة، وبعد أن تعب كثيراً بالليل والنهار، وبعد أن قضى ساعات لا تُحصى في الصوم والصلاة، وبعد أن وعظ وكرز باسم المسيح في وقت مناسب ووقت غير مناسب، استجاب الله لصلواته وأرسل نهضة كبيرة وانتعاشاً عظيماً.

السبت ٢٢ يونية عام ١٧٤٥

حوالي الظهر، توجّهت إلى الهنود ثانية ووعظت بينهم، وشعرت بقوة كبيرة في جسدي وتمكنت من أن أتكلم بحرارة ووضوح، ورافقت قوة الله كلماتي، حتى أن أشخاصاً عديدين تبكتوا وذرفوا الدموع الغزيرة وصرخوا للمسيح طالبين أن يخلّصهم. وانتعشت نفسي كثيراً فقضيت معهم وقتاً طويلاً محاولاً لأن أريهم الطريق. وقد كانت لي بعد الظهر فرصة جميلة جداً معهم، مما أبهجني وجعلني أتهلل معهم ممجدين الله.

الخميس ٢٧ يونية

فرحت جداً إذ وجدت أن مسرة الرب شاءت أن تستخدمني لايقاظ هؤلاء الهنود المساكين. آه، لكم ينعش قلبي ويفرح نفسي أن أرى ثمار تعبي وخدمتي.

٦ أغسطس

تحدثت في الصباح إلى الهنود في البيت الذي كنا نقيم فيه. وتأثر كثيرون منهم، وكان التأثر بادياً عليهم بشكل مدهش، لدرجة أن كلمات قليلة عن أمر نفوسهم كانت تجعل دموعهم تسيل بغزارة، وكانت تجعلهم يئنون ويتأوهون. وعادوا بعد الظهر إلى المكان الذي كنت فيه أعظ عادة بينهم. وهناك تحدثت إليهم ثانية. وبدا انهم شغوفون بالاستماع، ولكن لم

يحدث في بداية الاجتماع شيء ملحوظ ملفت للنظر، إلا أن قوة الله ظهرت بشكل واضح قرب نهاية الاجتماع، ورأيت التأثير واضحاً ملموساً بينهم. ومن بين الأربعين الذين كانوا مجتمعين لم يكن هناك سوى ثلاثة بدت عليهم القساوة فلم يذرفوا دمعاً ولم يصرخوا للرب. أمّا الباقون فكانوا بنفس واحدة يصرخون طالبين خلاص المسيح لنفوسهم. وكلما حدثتهم أكثر عن محبة الله العظيمة التي ظهرت في إرساله ابنه ليتألم لأجل خطايا الناس، وكلما دعوتهم أن يأتوا ويتمتعوا بنصيبهم في محبته، كان صراخهم يزداد معبرين عن رغبتهم في الإتيان إلى يسوع، وطالبين أنه يُطهّر قلوبهم وينظفها تماماً. وكان أمراً مذهلاً أن ترى كيف أن قلوبهم لانت بل ذابت بتأثير دعوة الإنجيل الرقيقة الهادئة من غير أن يسمعوا كلمة تخويف أو إرهاب واحدة. وهكذا كانت أعمال الرب معنا في ذلك اليوم عجيبة ومدهشة، لدرجة أني لا أستطيع أن أصفه بأقل أو أكثر من أن ذراع الرب قد كشف لنا فيه بقوة عظيمة رائعة. وعظت للهنود من أشعياء "مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ. رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا. مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ. لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً مِنَ اللَّهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ، كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ. وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ

مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْماً، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ. أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحُزْنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ" (إش ٥٣: ٣-١٠). وكان اصغاؤهم عظيماً والتأثير بينهم واضحاً. وكثيرون منهم بلغ بهم التأثر أنهم ارتموا على الأرض وكانوا يصرخون طالبين الرحمة. ولوحظ أن عدداً كبيراً من الهنود الذين أتوا من أماكن بعيدة، كان يبدو أن روح الله يستولى عليهم بمجرد وصولهم ويعمل فيهم لخلاص نفوسهم. وعظت للهنود بعد الظهر من إنجيل لوقا "وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمْلأَ بَطْنَهُ مِنَ الْخُرْنُوبِ الَّذِي كَانَتِ الْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ. فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعاً! أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ وَلَسْتُ مُسْتَحِقّاً بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْناً. اِجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ. فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيداً رَآهُ أَبُوهُ فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ. فَقَالَ لَهُ الاِبْنُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ وَلَسْتُ مُسْتَحِقّاً بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْناً. فَقَالَ الأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ وَاجْعَلُوا خَاتَماً فِي يَدِهِ وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ" (لو ١٥: ١٦- ٢٣). وعندما كنت أتحدث لهم جميعاً كان الاهتمام بادياً عليهم بشكل ملموس. ثم عندما تكلمت بنوع خاص مع بعض الأفراد الذين لاحظت أنهم كانوا أكثر تأثراً من الآخرين، شعرت أن قوة الله حلت فوق جمهور الحاضرين كريح قوي حمل الجميع أمامه بقوة مدهشة. ووقفت مذهولاً لهذا التأثير الذي شمل الجميع واكتسح بتياره الجارف كل المعطلات أو العراقيل من أمامه. فقد شاهدت كل الأشخاص من كل الأعمار منحنين

جميعاً وهم متأثرون جداً وحزانى بسبب خطاياهم. وكان من بينهم رجال ونساء متقدمين في السن، وكانوا يعيشون في الخطية ومستعبدين لشرب الخمر سنوات كثيرة، وكان من بينهم أيضاً أطفال لم يتجاوزوا السادسة أو السابعة من العمر، كما كان هناك أشخاص متوسوطوا الأعمار، إلا إنهم جميعاً اتفقوا في أنهم كانوا يطلبون خلاص نفوسهم. وكان واضحاً أن الأحداث الذين تأثروا به أو بعضهم على الأقل، لم يكن تأثرهم ناتجاً عن مجرد الخوف أو مجاراة التيار، ولكنهم كانوا فعلاً يحسون بخطاياهم وبتعاستهم بعيداً عن المسيح. وكانت أكثر القلوب عناداً، سواء بين الأحداث أو بين الكبار، لينة الآن وطيعة لعمل روح الله فيها.. ومما يذكر أن رجلاً من رؤساء الهنود، الذي كان قبلاً معتداً ببره الذاتي، وكان يظن أنه رجل طيب وصالح وأكثر فهماً من الهنود الآخرين، إذا به يكتشف حقيقة حالته ويحس بخطاياه، فيبكى بمرارة ويعترف بحاجته إلى الخلاص، ثم يعلن قبوله للرب يسوع المسيح. وحدث أن رجلاً آخر، متقدماً في الأيام، وكان قاتلاً وساحراً وسكيراً مشهوراً، هذا أيضاً جاء صارخاً بدموع كثيرة طالباً الرحمة نادماً لأنه تأخر في الاهتمام بخلاص نفسه. وكان الجميع يُصلّون بحرارة في كل مكان في البيت، كما كان هناك أيضاً عدد كبير خارج البيت يصلّون ويطلبون رحمة الله. وكان كل واحد منهم يصلّي ويصرخ وكأنه في خلوة بمفرده ولا أحد حوله. وبدا لي أن هذا هو اتمام كامل لنبوة زكريا "وَأُفِيضُ عَلَى بَيْتِ دَاوُدَ وَعَلَى سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ رُوحَ النِّعْمَةِ وَالتَّضَرُّعَاتِ فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ الَّذِي طَعَنُوهُ وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ وَيَكُونُونَ فِي مَرَارَةٍ عَلَيْهِ كَمَنْ هُوَ فِي مَرَارَةٍ عَلَى بِكْرِهِ" (زك ١٢: ١٠). وافتكرت أن هذا اليوم كان قريب

الشبه جداً بيوم قوة الله المذكور "يَقُومُ ضَجِيجٌ فِي شُعُوبِكَ، وَتُخْرَبُ جَمِيعُ حُصُونِكَ كَإِخْرَابِ شَلْمَانَ بَيْتَ أَرَبْئِيلَ فِي يَوْمِ الْحَرْبِ. اَلأُمُّ مَعَ الأَوْلاَدِ حُطِّمَتْ" (هوشع ١٠: ١٤)، لأني لم أشهد لهذا اليوم مثيلاً من كل النواحي، فقد كان يوماً شعرت فيه أن الرب قد عمل كثيراً لتحطيم مملكة الظلام بين هذا الشعب. وقد كان تأثر الناس واهتمامهم مصحوباً بوجه عام بالتعقل والتفكير، فالذين استيقظت ضمائرهم من زمن والذين استيقظت ضمائرهم مؤخراً كانوا جميعاً يشكون من رداءة قلوبهم وشرور حياتهم وأعمالهم، وكانوا كلهم خائفين من غضب الله ومن التعاسة الأبدية كجزاء لخطاياهم. وجاء بعض البيض بدافع حب الاستطلاع ليسمعوا ما يقوله هذا "الثرثار الذي يهذي" للهنود الفقراء والجهلاء، فإذ بهم هم أيضاً يتأثرون ويؤمنون ويفرحون بقبولهم الإيمان بالرب يسوع المسيح. وذهب بعضهم ودعوا أصدقائهم وحدّثوهم عن المسيح الطيّب وحثّوهم على أن يسلموا حياتهم له. واستطعت أن ألحظ البعض الآخر وهم يرفعون أعينهم إلى السماء، وعلى وجوههم سمات الإخلاص والمحبة، كما لو أنهم يطلبون رحمة الله لأجل النفوس المسكينة حولهم. وكانت هناك حادثة مُعيّنة تدل على النهضة العظيمة التي حدثت في ذلك اليوم، لا أنسى أن أذكرها هنا. فقد سمِعت سيدة هندية شابة أن شيئاً غريباً كان يحدث بين الهنود، فجاءت لترى الأمر بنفسها. وأعتقد أن هذه السيدة لم تكن تعرف بالمرة أن لها نفساً، ولم تفكر مطلقاً في شيء كهذا. وفي طريقها إلى الهنود مرت بمسكني، وعندما أخبرتها بأني كنت مزمعاً حالاً أن أعظ الهنود ضحكت، ويظهر أنها سخرت مني، ولكنها على أية حال ذهبت إليهم. ولم أتقدم

قليلاً في حديثي مع الهنود في عظتي لهم، حتى تأثرت وشعرت أن لها نفساً. وقبل أن أنهي حديثي، اقتنعت بخطاياها وتعاستها وتثقّل قلبها بالاهتمام بخلاص نفسها لدرجة أنها بدأت تصرخ بلا انقطاع، وكأن أحداً ما صوب إليها سهماً. وبعد انتهاء الاجتماع ارتمت على الأرض وهي تصلّي بحرارة وحماس قائلة: "ارحمني يا رب، وساعدني لأعطيك قلبي". واستمرت تصلّي هكذا لبضعة ساعات. لقد كان هذا اليوم حقاً يوماً مجيداً مدهشاً ظهرت فيه قوة الله، وكان كافياً لأن يقنع أي كافر بأهمية وقوة وحق كلمة الله.

٩ أغسطس

بينما كنت أتحدث، قرب المساء، إلى اثنين أو ثلاثة من الأشخاص الذين استيقظت ضمائرهم، يبدو أن تأثيراً إلهياً لمس قلوبهم بقوة لدرجة أنهم صرخوا وكأنهم في عذاب أو ألم نفسي، مع أني لم أتكلّم معهم كلمة واحدة مُخيفة، بل حاولت أن أصوّر أمامهم كمالات المسيح واستعداده لأن يُخلّص نفوسهم، وألححت عليهم أن يأتوا إليه بلا تأخير. وسرعان ما سمع آخرةن صراخهم، فاجتمعوا حالاً مع أنهم كانوا قد تفرقوا. وحينئذ واصلت نفس الجهد في تقديم دعوة الانجيل، وتأثر الجميع وكانوا يصرخون بدموع تعبيراً عن اهتمامهم ورغيتهم في ضمان حياتهم لدى الفادي العظيم. وكان التأثير سائداً مثلما حدث في اليوم السابق، فكان كل واحد منهم يصرخ على حدة وبصوتٍ عالٍ "ارحمني يا رب، ارحمني يا رب". وكان أمراً مؤثراً جداً أن ترى الهنود الفقراء، الذين كانوا منذ عهد قريب يهللون ويهتفون للأصنام وهم سكارى في أعيادهم الوثنية، قد أصبحوا اليوم يصرخون للرب ويهتفون لابن الله العزيز. والتقيت باثنين أو ثلاثة أشخاص من

بين الذين نالوا الخلاص من قبل، وكانوا فرحين جداً إذ رأوا عمل الرب مستمراً بمثل هذه القوة مع الآخرين.

يوم الرب ٢٥ أغسطس

يبدو أن المحبة قد تسلطت عليهم! فعندما كنت أتحدث إليهم كان كل واحد منهم ممسكاً بيد الآخر في محبة ورقة، كما لو كانت قلوبهم قد حكيت معاً. ولو أن شخصاً متفرجاً ألقى نظرة بأعجاب قائلاً: "أنظروا كيف يحب كل منهم الآخر!". وعندما رأى كثيرون من الهنود الآخرين ما حدث تأثروا جداً وبكوا بمرارة مشتاقين أن يكون لهم نصيب في نفس هذا الفرح وهذه التعزية اللذين كانا باديين على الإخوة في مظهرهم وسلوكهم. وفي المساء قفلت راجعاً إلى مسكني، مباركاً الرب لأجل افتقاده للهنود بنعمته ولأجل الأشياء المنعشة للنفس التي رأيتها بينهم في الأيام الماضية، ومصلّياً أن الرب يواصل عمله الإلهي العظيم.

يوم الرب ٨ سبتمبر

وعظت للهنود بعد الظهر من سفر الأعمال "فَلْيَعْلَمْ يَقِيناً جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ رَبّاً وَمَسِيحاً». فَلَمَّا سَمِعُوا نُخِسُوا فِي قُلُوبِهِمْ وَسَأَلُوا بُطْرُسَ وَسَائِرَ الرُّسُلِ: «مَاذَا نَصْنَعُ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ؟»" (أع ٢: ٣٦- ٣٩)، وكانت كلمة الرب مؤثرة جداً فيهم، فكانوا ينصتون ويصلّون بدموع. ومن الملاحظ أن الله بدأ هذا العمل وهذه النهضة بين الهنود في الوقت الذي ما كان لي فيه أقل أمل أو انتظار أن أرى عمل النعمة ينتشر بينهم. فقد اختار الله الوقت الذي كانت آمالي فيه في حالة "جزر" ليبدأ هو عمله المجيد. وهكذا ولد القوة من الضعف، بكونه يعمل هو في الوقت الذي يتضح فيه فشل كل الآمال والامكانيات

البشرية. ومن ثم فقد تعلمت أنه من الأفضل أن نؤدي رسالتنا وعملنا حتى في قلب الظلام والفشل. ولم تحدث هذه النهضة العظيمة عن طريق مواعظ الرعب والتخويف، الذي كان دائماً يجذب الخطاة هو الحديث معهم عن محبة المخلّص الذي مات لأجلهم، وعن بركات الإنجيل الوفيرة، وعن عطايا النعمة الإلهية المجانية المقدمة لكل المحتاجين إليها والذين يطلبونها.

يوم الرب ٢ فبراير عام ١٧٤٦

سمعت أن الناس ظنوني كاثوليكياً مرسلاً من البابا في روما لأحرض الهنود على التمرد ضد الإنجليز. وكان بعضهم يخشاني، بينما خشي الآخرون لئلا تقبض السلطات على وتنكل بي واأسفاه، إن الشيطان لا يعدم وسيلة يجلب بها المشاكل أمام عمل الله. ونحو المساء أعطاني الرب تعزية وبركة أمام عرش النعمة، وعندما فتحت الكتاب المقدَّس وقرأت المزمور السادس والأربعين أمام المجتمعين، شعرت بملئ الثقة في الله، مع أن العالم الشرير يضطهدني ويضايقني، وقد يدينني ويحكم عليّ. حقاً، إن الرب مُعين حاضر في وقت الضيق. وفي المساء ملأ الرب نفسي بتعزية ليست بقليلة.

الاثنين ٣ فبراير

كانت روحي المعنوية منخفضة جداً بسبب ما سمعته في اليوم السابق، وهذا جعلني أحفظ نفسي بتدقيق لئلا أكون قد أغفلت شيئاً ما ينتهزه الأعداء كفرصة لإثارة الشكوك حولي بأني أُحرض الهنود ضد الإنجليز، فلم أجد شيئاً سوى أني أحياناً حاولت أن أدافع عن حقوق الهنود المهضومة ونددت بالطرق المتعبة لخداعهم وسلب ممتلكاتهم وأرضهم.

وأذكر أني فعلت ذلك مرة بحماس بالغ. وقد أحزنني هذا كثيراً، إذأانى خشيت لئلا يدفع الحقد والتعصب الأعداء إلى تعطيل عمل النعمة وتضييع الجهود التي بذلت في ربح نفوس الهنود. إلا أن الرب منحني من هذه التجربة خيراً إذ علّمتني درساً في التواضع ولزوم اليقظة والحذر، وأن أكون "حكيماً كالحية" كما أكون "بسيطاً كالحمام".

الخميس ٢٢ مايو

قدمت نفسي للرب دون أدنى تحفظ ليستخدمني الرب كيفما يشاء. كان لسان حالي: "هأنذا يارب أرسلني، أرسلني يا ربي إلى أقاصى الأرض، أرسلني إلى الوثنيين والمتوحشين في البرية، إنني مستعد لأي شيء حتى الموت في سبيل خدمتك وامتداد ملكوتك". وكنت مستعداً أن أودع أصدقائي وأعزائي إذا دعاني الرب لذلك، وأن أقضى كل حياتي، حتى لحظاتي الأخيرة، في كهوف الأرض ومغاورها إذا كان هذا يسهم في تقدم ملكوت المسيح. ووجدت حرية غير عادية في سكب نفسي أمام الله من أجل خدمته، وخصوصاً لأجل امتداد ملكوته بين الهنود البعيدين. وكان لي أمل كبير أن الرب سيحقق لي هذا. وظللت أصارع مع الله في الصلاة لأجل قطيعي الصغير هنا، ولأجل الهنود في كل مكان، ولأجل لأصدقائي، حتى حان وقت النوم ولم أكن أريد أن أنام، بل كنت مشتاقاً أن أستمر يقظاً لأواصل الصلاة، وأن أكون كجذوة نار نتوهج باستمرار في خدمة الله وفي بناء ملكوت المسيح حتى آخر لحظة في حياتي.

الجمعة ٢٣ مايو

في المساء زارنى أخي، جون برينارد، وكان هو أول واحد من أقاربي يزورني بعد أن أصبحت مرسلاً.

يوم الرب ١٠ أغسطس

تحدثت إلى شعبي من سفر الأعمال "فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ لِكَيْ تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ" (أع ٣: ١٩)، وقد ساعدني الرب وكان الحديث مؤثراً في كل من الهنود والبيض، وكان الجميع يصغون إلى كلمة الله القوية.

الثلاثاء ٢ سبتمبر

أصبت بنزلة برد وأحسست بضعف جسدي شديد، مما جعلني أخشى أن أنام في العراء. ولم أجد مفراً من أن أتسلق شجرة صنوبر صغيرة واستطعت أن أشذب بعض أغصانها لأصنع لنفسي مأوى فوقها من الندى. ولكن السحب في المساء كانت كثيفة، وسرعان ما بدأت قطرات المطر تتساقط مما بلل غطائي وجعلني أعاني من الكحة الشديدة. ولا أذكر أني عانيت من الضعف والإعياء قدر ما عانيت ذلك المساء.

الخميس ٤ سبتمبر

كنت قلقاً جداً في المساء لأن أحداً من شعبي لم يأتِ لي حتى جاوزت الساعة العاشرة مساء، فلم أحصل على نار أسوّي عليها طعامي، أو أستدفئ بها، أو تبعد عني الوحوش المفترسة. وكنت في الحقيقة متعباً جداً بشكل لم يسبق له مثيل في حياتي من قبل. ولكني على أية حال، استلقيت ونمت قبل أن يأتيني أحد، متوقعاً أن أقضي الليل كله منفرداً وبلا نار.

الجمعة ٥ سبتمبر

كنت ضعيفاً للغاية، لدرجة إني كنت بالكاد قادر على أن أركب الحصان، وبدا لي أني سأسقط منه وأقع في وسط الأحراش.

السبت ٢٧ سبتمبر

قضيت هذا اليوم والأسبوع الذي يليه وأنا في درجة كبيرة من الضعف الجسدي، أعاني من الكحة الحادة والحُمى الشديدة، ولم يكن لي أية شهية للطعام بل كنت أتقيأ كل ما أتناوله. وكنت في أغلب الأوقات غير قادر على أن أستريح في السرير بسبب الآلام المبرحة في صدري وظهري. ولكن، بالرغم من كل هذا، كنت يومياً أركب الحصان وأذهب به إلى شعبي، على بعد ميلين، لأهتم بأولئك الذين كانوا يعملون في بناء بيت صغير لي أسكن فيه بين الهنود ورغماً من ضعفي واجهادي الشديد كنت أتمتع بالهدوء والطمأنينة الكاملة. ولم أكن أدري هل سأشفي أم لا، ولكن الذي كان يُعزيني هو شعوري أن مسألة الحياة والموت لا تتوقف على اختباري. وكنت أُسر عندما أفتكر أن ذاك الذي له الحكمة اللانهائية هو وحده الذي يتحكم في مصيري. ولم تكن لي سوى قوة قليلة استطعت بها أن أُصلّي، ولكني لم أتمكّن من الكتابة أو القراءة، وبالجهد استطعت أن أتأمل. إلا أنني بمعونة الرب استطعت أن أرى الموت وجهاً لوجه وأنا في ملء الهدوء بل والفرح أيضاً. آه، كم هو أمر مبارك أن يكون الواحد مستعداً للموت!

يوم الرب ٢٨ سبتمبر

بالرغم من ضعفي الشديد جداً، وعظت حوالي نصف ساعة من رسالة كورنثوس الثانية "" (٢كو ١٣: ٥)، وكان واضحاً أن القوة الإلهية قد رافقت الكلمة. وبعد انتهاء الاجتماع استطعت بصعوبة بالغة أن أعود إلى مسكني، حيث ارتميت على سريرى أعاني من الحُمى الشديدة لدرجة إني كنت أهذي تقريباً عدة ساعات. وعند الصباح خفت حدة الحُمى

بفضل العرق الكثير. ومع أن الوعظ كان يجهدني كثيراً، ولكني كنت أشعر بعد الوعظ براحة نفسية وذهنية، لأني كنت أبذل قصاري ما في وسعي لأخدم الله.

يوم الرب ٥ أكتوبر

مارسنا فريضة العشاء الرباني، وبعدها استطعت بصعوبة أن أعود إلى البيت، بمساعدة أصدقائي الذين سندوني في الطريق ثم وضعوني على سريري حيث استلقيت وأنا في غاية التعب والألم حتى المساء، وحينئذ استطعت أن أتمالك نفسي وأجلس وأتحدث مع الأصدقاء. وكم كان هذا اليوم جميلاً، إذ قضاه شعبي في صلوات وتسبيحات جميلة. ومع أن جسدي كان ضعيفاً، إلا أن نفسي انتعشت كثيراً عندما كنت أسمعهم يصلّون ويسبحون الله طوال الصباح قبل العبادة الجمهورية وفي المساء حتى منتصف الليل في بيوتهم.

السبت ١١ أكتوبر

أُصبت بنوبة حمى شديدة قرب المساء، وخجلت كثيراً من المعاملة الطيبة جداً التي عاملني بها الناس، ومن اهتمامهم الكبير بمخلوق لا يستحق شيئاً مثلي. وكنت مستسلماً تماماً، وفي طمأنينة ذهنية كاملة، لمشيئة الله سواء بحياتي أو بموتي. ومما متعني بهدوء غريب شعوري أنه لم يكن لي الحق في أن أقرر ما إذا كنت سأعيش أو سأموت، لأن هذا من اختصاص الله وحده.

الفصل الرابع

المرض الأخير والموت

السبت ٤ أبريل عام ١٧٤٧

كنت قلقاً جداً ومهموماً للعاية، لأني كنت أشتاق أن أقضي وقتاً في الصوم والصلاة، ولكن لم تكن لدي القوة الجسدية

لذلك. آه، يا له من شيء مبارك أن يتمتع الواحد بسلام الضمير! ولكن كم هو مُخيف أن يفتقر الشخص إلى السلام الداخلي والراحة النفسية.

الخميس ١٦ أبريل

مثلت أمامي خطاياي وذنوبي، ولذلك كنت في صراع نفسي مرير لم أشعر بمثله من قبل. وكنت أحس في نفسي بعدم الاستحقاق، والذي كان يخجلني ويؤلمني أن الناس كانوا يحترمونني كما لو كنت مستحقاً.

الجمعة ١٧ أبريل

ساعدني الرب في المساء لأن أقترب من عرش النعمة. وأعطاني تأكيداً برضاه عليّ، الأمر الذي شجعني وقواني وأبهج قلبي. وشعرت بالفرح وبالاعجاب بطيبة الرب معي لأنه لم يدعني أسقط في خطايا شنيعة فاضحة، وأحسست أني مدين بأن أسبح الله وأحمده.

الاثنين ٢٠ أبريل

كنت في حالة إعياء شديد ولزمت فراشي معظم اليوم. إلا أن حالتي كانت بوجه عام أحسن من الأيام السابقة. بلغت اليوم التاسعة والعشرين من عمري.

*** * * ***

(ومن هنا ندع يوناثان إدواردز يكمل القصة)

*** * * ***

كتب إدواردز يقول: "وصل برينارد يوم الخميس ٢٨ مايو إلى نورثامبتون وكانت صحته لا بأس بها، لدرجة أنه استطاع أن يركب مسافة خمسة وعشرين ميلاً، وأن يمشي نصف ميل. وعرض برينارد نفسه هذا الأسبوع على الدكتور مازر ليفحصه، وقال له الطبيب بصراحة أنه مصاب بداء السل وأنه

ضعيف الأمل في شفائه. ومع أن تقرير الطبيب لم يكن مشجعاً إلا أن برينارد لم تظهر عليه أية علامة من علامات القلق أو الاضطراب، بل ظل محتفظاً بابتهاجه وبشاشته، وظل حديثه طلياً مرحاً. ولم يمانع الأطباء في أن يستمر برينارد في ركوب الخيل وقالوا إن هذا قد يطيل حياته. وأخيراً قرر أن يتوجّه إلى بوسطن، وصحبه أحد أفراد العائلة ليعاونه في الطريق. وقد كان بقاء مستر برينارد على قيد الحياة وتمكنه من السفر أمراً غير متوقع له ولأصدقائه. فقد كتبت ابنتي، التي كانت معه، خطاباً بتاريخ ٢٣ يونية تقول فيه: "كان مستر برينارد يوم الخميس مريضاً جداً بحمى شديدة، وكان يقاسي من ألم مبرح في رأسه وصدره وكان يهذي أحياناً من فرط الحُمى. وظل هكذا حتى مساء السبت، حين بدا وكأنه يعالج سكرات الموت، وظل أفراد العائلة مستيقظين حوله حتى الواحدة أو الثانية صباحاً، متوقعين أن يلفظ أنفاسه الأخيرة بين لحظة وأخرى. وفي يوم الرب أفاق قليلاً، وتحسنت رأسه تحسناً بسيطاً ولكنه كان لا يزال يشكو من ألم شديد فيها وفي صدره. ولم ينم بالأمس إلا قليلاً. إلا أن صحته تدهورت أكثر هذا الصباح. ويقول الدكتور بنكون إنه لا أمل عنده في أن يتمكن برينارد من مغادرة فراشه أو في أن يسترد صحته، ولكنه قد يتمكن من المجيء إلى نورثامبتون". وفي خطاب آخر بتاريخ ٢٩ يونيه كتبت ابنتي تقول: "منذ أن كتبت خطابي السابق ومستر برينارد يعاني من ضعف وأعياء شديدين، ويتوقع رحيله للمجد في كل يوم. إنه يقول أنه يستحيل عليه أن يعيش إذ هو لا يقوى على التنفس. وعندما عدت إلى المنزل ظهر اليوم قال مستر برينارد، إنه لم يكن ينتظر أن أجده حياً، لأنه استلقى ساعتين في غيبوبة

لم يكن أحد يستطيع فيها أن يميّز بسهولة ما إذا كان لا يزال حياً أم أنه قد مات. ويقول الطبيب أن برينارد قد يلفظ آخر أنفاسه في غيبوبة كهذه، ولكنه قد يعيش بضعة شهور وهو في هذه الحالة من الضعف الشديد. وبالرغم من كل هذا، فإن برينارد يقابل شدة المرض بالصبر والتسليم لله، ولا تبدو عليه أية مخاوف أو أحزان". وبعض ظُهر يوم ٢٠ يولية رافقه أخوه وابنتي في سفره إلى نورثامبتون، ولولا أنه كان يكره المظاهر وينفر منها لصحبه عدد كبير من أهل البلدة. وكتب في مذكراته يوم السبت ٢٥ يولية يقول: "وصلت نورثامبتون، وكنت قد غادرت بوسطن حوالي الساعة الرابعة بعد ظهر الاثنين. وكنت خلال الرحلة متعباً جداً ومُنهكاً للغاية لدرجة أني أحياناً كنت أحس أني لن أتمكن من مواصلة السفر، ولكني في أحيان أخرى كنت أحس ببعض التحسن في جسمي وذهني". وعندما جاء مستر برينارد إلى نيوهيفن كانت صحته قد بدأت تنهار تدريجياً. وكان يوم الخميس ١٧ سبتمبر هو آخر يوم استطاع فيه أن يخرج من غرفة نومه. وفي ذلك اليوم زاره أخوه يعقوب، الذي بقى معه حتى وفاته. وفي مساء ذلك اليوم أُصيب بإسهال شديد، اعتبره علامة أخرى على قرب نهايته، وعبر عن شعوره بقرب انطلاقه قائلاً: "آه، هوذا الوقت المجيد! لقد كنت اشتاق إلى أن أخدم الله خدمة كاملة، والآن سيكافئ الرب تلك الاشواق المقدّسة!". وكان من بين الأقوال التي نطق بها معبراً عن مشاعره، هذه العبارات: "أن سمائي هي أن أُسِر الله وأُمجده، وأن أقدم له كل شيء، وأن أكون مكرّساً تماماً لمجده. هذه هي السماء التي اشتاق إليها، هذا هو ديني وهذه هي سعادتي، وكنت دائماً كذلك منذ أن عرفت الرب

معرفة حقيقية، وكل الذين لهم مثل هذا الدين سيلتقون معي في السماء". "إنني لا أذهب إلى السماء لأكون متقدماً هناك، بل لأقدم كل التمجيد والتكريم لله. ولا يهمني أين سيكون مكاني بالضبط في السماء، وهل سيكون مقعدي مرتفعاً أو منخفضاً، بل أن كل ما يهمني هو أن أكون مع الرب، محباً له، مُسِراً له، مُمجداً لشخصه العظيم". "لو كان لي ألف نفس، فإنني كنت أكون مستعداً أن أقدمها لله بكل سرور لو كانت تساوي شيئاً يذكر". "إنني اشتاق إلى أن أكون في السماء لأسبح الله وامجده مع الملائكة المقدسين، فإن كل رغبتي هي أن امجد الله". "مما يريح قلبي أن أذكر إني فعلت ولو شيئاً قليلاً لله في هذا العالم، ولكن آسف جداً لأني لم أعمل أكثر مما عملت". "لا يوجد شيء في العالم يستحق أن نعيش لأجله إلا أن نعمل الخير ونتتمم مشيئة الله، عاملين نفس العمل الذي عمله المسيح. ولست أرى شيئاً آخر في العالم يمكن أن يشبع النفس سوى أن نعيش لله، وأن نُسِره، وأن ننفذ مشيئته كلها". "لقد كان جل اهتمامي وفرحي أن أعمل شيئاً لحث الناس على الاهتمام بالدين وبخلاص نفوسهم والآن، في ظروف مرضي الشديد والآلام المبرحة التي أحس بها، لا أملك إلا أن أعمل شيئاً قليلاً لله بالقول أو بالكتابة أو بوسيلة أخرى". وتحدث إلى اطفالي الصغار فقال لهم: "سأموت هنا، وهنا سأدفن، وهنا سترون قبري، فأرجو أن تتذكروا كل ما كنت أقوله لكم. إنني ذاهب إلى الأبدية، ويحلو لي أن افكر في الأبدية السعيدة التي تزداد حلاوة عندما نذكر أن لا نهاية لها. ولكن آه، ماذا أقول عن أبدية الأشرار! إنني لا أستطيع مجرد الإشارة إليها أو التفكير فيها، فإن التفكير فيها مرعب

جداً. وعندما ترون قبري، تذكروا ما قلته لكم عندما كنت حياً، ولا تنسوا أن الرجل الراقد في هذا القبر قد نصحكم كثيراً بل وحذركم، أن تستعدوا للموت". وكان آخر ما استطاع برينارد أن يكتبه في مذكراته، ما كتبه في يوم الجمعة ٢٥ سبتمبر: "تمكنت اليوم على أية حال أن أكتب قليلاً. آه، إنه مما ينعش نفسي أن أفكر في الأشياء السابقة، في رغباتي في أن أمجد الله وفي مسرات وامتيازات الحياة معه. آه يا إلهي، إنني آتي إليك سريعاً! عجّل بهذا اليوم يا ربي، ولتكن مشيئتك. تعال أيها الرب يسوع، تعال أيها الرب يسوع، تعال سريعاً".

وفي صباح الأحد قال لأحد أفراد عائلته الذي كان بجواره: "كم أنا سعيد هذا الصباح. لقد وُلدت في يوم أحد، وتجددت في يوم أحد، وأتعشم أن أموت أيضاً يوم الأحد. إنني مشتاق للانطلاق. آه، لماذا تتأخر مركبة الله هكذا؟ لماذا تسير عجلات هذه المركبة متباطئة؟ إنني مستعد لأن أفترق عن أعز من حولي لأنطلق وأكون مع الرب إلى الأبد. إنني الآن تقريباً في الأبدية التي أشتاق إليها. لقد أتممت عملي ورسالتي. والآن لا يساوي العالم كله في نظري شيئاً. إن كل رغبتي هي أن أذهب إلى السماء لأسبح الله وأمجده مع كل الملائكة المقدسين". وبدت عليه في المساء سمات الفرح لقرب انطلاقه، ومع أنه كان تقريباً فاقد النطق، ولكن لوحظ أن شفتيه كانتا تتحركان في ضعف، وسمعه أحد الجالسين بجواره يقول: "تعال، أيها الرب يسوع، تعال سريعاً أيها الفادي المبارك. لماذا تتأخر مركبتك هكذا؟". وفي يوم الرب، ٤ أكتوبر، عندما دخلت غرفته ابنتي جيروشا التي كانت تعتني به وتقوم بخدمته، نظر إليها مسروراً وقال: "يا

عزيزتي جيروشا، إنني مُستعد لأن أفترق عن أعز الأصدقاء بالرغم من إعزازي لهم، ومُستعد أيضاً أن أفترق حتى عن أخي جون، مع أن محبتيى له تفوق محبتي لأي مخلوق آخر، لأكون مع الرب. لقد استودعت أخي وكل أصدقائي للرب. ولم أكن أستطيع أن أتحمل فراقهم كلهم، لولا يقيني أننا سنلتقي كلنا في المجد لنقضي معاً هناك الأبدية السعيدة!".
وفي يوم الثلاثاء ٧ أكتوبر كان برينارد مستلقياً على فراشه في شبه غيبوبة وكأنه على أبواب الموت، وكان يهمس بعبارات ضعيفة متقطعة قائلاً: "سيأتي الرب، إنه لن يتأخر أو يتباطأ، وسأمجد الله مع الملائكة". ولكنه أفاق قليلاً بعد ذلك. وفي اليوم التالي، الأربعاء ٧ أكتوبر، وصل أخوه جون قادماً من نيوجيرسي، حيث اضطر إلى التأخر مما كان يتوقع بسبب انتشار وباء مُميت بين الهنود المسيحيين. وقد تأثر مستر برينارد كثيراً لرؤياه وانتعشت روحه فيه. وقاسى برينارد في اليوم التالي، الخميس ٨ أكتوبر، من آلام فظيعة في الجسد وقال لي أنه يستحيل على أن واحد أن يتصوّر مقدار ما يحس به في صدره من ألم. ولكنه كان يخشى أن تكون شكواه هذه معبّرة عن تذمره أو عدم صبره – الأمر الذي لا يمجد الله. ولذلك كان يريد أن يكون شاكراً راضياً بالرغم من الآلام الشديدة التي كان مجرد التفكير في استمرارها لحظة أطول، أمراً لا يطاق. وكان يرجو دائماً أن يرفعه الآخرون في صلواتهم لله حتى يعضده الله ويمنحه صبراً. وقال إنه يتوقع أن يموت تلك الليلة، وبالرغم من آلامه الجسدية فقد كان بادياً عليه سلام السماء وجمالها. وحوالي الساعة السادسة صباح الجمعة ٩ أكتوبر عام ١٧٤٧

كان بريناردِ قد أغمض عينيه عن الحركة تماماً وانطلقت روحه للمجد الأبدي الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، وحيث ما لم ترَ عين وما لم تسمع أذن وما لم يخطر على بال إنسان، ما أعده الله للذين يحبونه". وهنا ينتهي ما كتبه يوناثان إدواردز. وختاماً نسجل الخطاب الذي كان دافيد بريناردِ قد أرسله لأخيه جون الذي واصل عمله بين الهنود. فهو خطاب روحي جميل.

* * * *

أخي العزيز:

إنني الآن على حافة الأبدية، أتوقع أن أظهر في العالم الآخر بسرعة. ولم أعد أشعر أني أحد سكان الأرض، وأحياناً أشتاق جداً أن "أنطلق وأكون مع المسيح". وأشكر الله الذي أقنعني منذ سنوات أنه لا يمكن لأي مخلوق عاقل أن يتمتع بالسعادة الحقيقية دون أن يكون مكرّساً له تماماً. وفي ضوء هذه العقيدة كنت أتصرف. وكم كنت أتمنى أن أعمل أكثر مما عملت. يا أخي، ليتك تتبع القداسة وتدع نفسك العطشى تقول باستمرار: "أمّا أنا فبالبر أنظر وجهك. أشبع غذا استيقظت بشبهك". ومع أني أعترف بخجل أني كثيراً ما كنت أفكر بعقلية أنانية، لكني أبارك الرب لأنه وضع في نفسي أن أهتم بمجده وأن أعمل على امتداد ملكوته في العالم – الأمر الذي يملأ نفسي بالرضا والسرور. الآن يا أخي العزيز، وأنا أحثك على القداسة الشخصية، وعلى المواظبة على الصوم والصلاة بقدر ما تسمح صحتك، وعلى أن تعيش حياة مسيحية ممتازة، لا أنسى أن ألح عليك أن تهتم بالخدمة العامة، وأن تُميّز بين الدين الحقيقي والدين المزيف، وأن تنصت إلى همسات روح الله في قلبك. وطالب شعبي،

باسم خادمهم المائت، بل باسم ذاك الذي مات لأجلهم وهو الآن حي، أن يعيشوا ويسلكوا كما يليق بالإنجيل. وخبرهم عن عظم انتصارات الله وأولاد الله فيهم، وذكرهم أنهم يجلبون العار على اسم الله ويجرحون قلبه إذا كانوا يقعون في الرذيلة أو يتعصبون ضد الهنود الآخرين. وحثهم على أن يدركوا أن كل اختباراتهم وأفراحهم تصبح بلا قيمة إذا كانت مبنية على الغرور، وما لم تكن حياتهم روحية ساهرة مقدّسة. وبهذا تُخلّص نفسك والذين يسمعونك أيضاً. والله يعلم كم كنت أرغب من أعماق قلبي أن أكون في خدمته وقتاً أطول، بالرغم من كل الصعوبات والمشقات التي كانت تصادفني، لو أن مشيئته أرادت ذلك، ولكن الآن يبدو لي أن وقت انحلالي قد حضر، وهأنذا في خضوع كامل وبحرية تامة أقول "لتكن مشيئة الرب". ويؤلمني أن أفكر أني سأتركك في عالم الخطية، وأنا أرثى لك إذ عليك بعد أن تواجه عواصف هذا العالم التي أثق أني قد قاربت على التخلّص منها بفضل نعمة الله. ولكن الله حي وهو الصخرة المباركة التي نحتمي بها. إنه نفس الصديق القوي الذي أثق أنه سيكون مُرشدك ومُعينك كما كان بالنسبة لي.

والآن يا أخي العزيز، أستودعك لله ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيك وتعطيك ميراثاً مع جميع المقدسين. وأرجو أنك تتمتع بالحضور الإلهي معك في خلوتك ومع الناس، وأن تتقوى بقوة إله يعقوب. وهذه هي صلوات وأمنيات قلب.

أخيك المحب المائت

دافيد بريناردا

* * * *

وهكذا تنتهي قصة القديس برينارد الذي يرقد جسده في نورثامبتون، ويرقد بجواره جسد جيروشا ابنة يوناثان التي أرسلتها العناية لتكون شريكة حياته، وإلى جوارها يرقد أبوها الشهير. ولم يكن برينارد قد بلغ من العمر عندما مات سوى تسعة وعشرين عاماً، وبالرغم من ضعفه الجسدي الشديد، فإنه في حياته أكثر مما عمله معظم الرجال الذين بلغوا السبعين. ومع أن له اليوم أكثر من مائتي سنة يحيا مع القديسين في العالم الآخر، ولكنه لا يزال يحيا هنا في قلوب وحياة أولئك الذين سمعوا دعوة الله مثله وتركوا كل شيء ليتبعوا الرب ويعيشوا في خدمته.